مجلة بحوث كلية الآداب
جامعة المنوفية

العدد الثالث والاربعون فبراير ٢٠٠٦

مجلة علمية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

http : // Art.menofia . edu. eg *** E. mail : arts @ mailer . menofia . edu. eg

هيئة تحرير مجلة بحوث
كلية الآداب - جامعة المنوفية

مجلس التحرير

أ.د /عبد المنعم شحاته محمود
عميد الكلية - ورئيس التحرير

أ.د / عادل محمد هريدى
وكيل الكلية للدراسات العليا
ونائب رئيس التحرير

أ.د / أحمد على محمد تاج — محرر تنفيذى

د / محمد السيد عزوز — محرر تنفيذى

أ / عادل عبد الهادى شاهين — سكرتير التحرير

مجلة علمية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

الهيئة الإستشارية :

أ.د / فتحى محمد مصيلحى
أ.د / زينب عفيفى شاكر
أ.د / صلاح عبد الجابر عيسى
أ.د / عيد مهدى بلبع
أ.د / حلمى أحمد شلبى
أ.د /جبر محمد جبر
أ.د / أحمد عبد القادر الشاذلى
أ.د / ثريا السيد عبد الجواد

جميع المراسلات توجه بأسم الأستاذ / سكرتير التحرير
العنوان : كلية الآداب - جامعة المنوفية - شبين الكوم
http : // Art.menofia . edu. eg *** E. mail : arts @ mailer . menofia . edu. eg

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

مع اعتماد اللائحة الجديدة للنشر العلمى بكلية الآداب فى أوائل الالفية الثالثة حسب التقويم الميلادى للحضارة البشرية .

تقدم كلية الآداب جامعة المنوفية شكلاً جديداً من النشر العلمى كسلسلة إصدارات خاصة تخضع فى شروط تحكيمها ونشرها للقواعد العلمية المتبعة فى مجلة بحوث كلية الآداب .

وتهدف السلسلة إلى إثراء المكتبة العربية بالبحوث العلمية الجادة التى قد لا تستوعبها صفحات المجلة الدورية ، والتى ترى هيئة التحرير أن لها قيمتها العلمية .

ويسر هيئة تحرير المجلة أن تتلقى الأنتاج العلمى للزملاء العاملين بحقل العلوم الإنسانية والآداب واللغات العالمية حتى تقدمها للعلماء والمختصين والمهتمين من خلال هذه النافذة الجديدة .

" والله ولى التوفيق "

هيئة التحرير

مجلة
بحوث كلية الآداب
جامعة المنوفية

سلسلة إصدارات خاصة
(٥٦)

التضمين الدلالى

رؤية أسلوبية بلاغية

إعـــداد
د/ عبد الحميد هنداوى
الأستاذ المساعد بقسم البلاغة والنقد الأدبى والأدب المقارن
كلية دار العلوم – القاهرة

محكمة تصدرها كلية آداب المنوفية
العدد السادس والخمسون مارس ٢٠٠٧

التضمين الدلالي

رؤية أسلوبية بلاغية

د/ عبد الحميد هنداوي

الأستاذ المساعد بقسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

كلية دار العلوم ــ القاهرة

تعتبر هذه الظاهرة التي يتعرض البحث لدراستها من أوضح الظواهر الدالة على قوة الترابط والالتحام بين مجالات البحث اللغوي ، حيث نجد أن الظاهرة الواحدة تتعاورها دراسات عدّة في مجالات لغوية مختلفة ، تركز كلّ دراسة من تلك الدراسات على جانب معين من جوانب الدرس اللغوي ، وإن كانت هذه الدراسات قد تتفاوت فيما بينها من جهة تنازع الدارسين لهذه الظاهرة : أيّهم أحق بدراستها .

وقد يغلب اتجاه ما على بقية الاتجاهات في دراسة هذه الظاهرة ، وإن كان ذلك لا يدل بالضرورة على أحقية هذا الاتجاه دون غيره بدراسة هذه الظاهرة .

ويمكن أن نعد ظاهرة التضمين الدلالي موضوع البحث واحدة من تلك الظواهر التي تتعاورها مجالات لغوية عديدة تنظر إليها من جهات مختلفة نحوية ودلالية وأسلوبية وبلاغية ، وإن كان الحظّ الأوفى في دراسة هذه الظاهرة إنما هو بلا شك للدراسة النحوية ، وإن كان هذا لا ينفي أحقية المجالات الأخرى الدلالية والأسلوبية والبلاغية بهذه الدراسة كذلك ولعلّ هذا هو ما حرصت على إبرازه والنص عليه في عنوان البحث حتى نستطيع أن نحدد مجال الدراسة ودائرتها .

ولما كانت أكثر الدراسات التي تعرضت لدراسة هذه الظاهرة قد اتجهت للجانب النحوي على الأخص لذا فقد اتجهتُ إلى دراسة هذه الظاهرة من خلال جوانبها الأخرى كذلك ــ التي أرى أنها لا تقل أهمية في دراسة هذه الظاهرة عن الجانب النحوي ــ بل قد تكون - في رأيي ــ لا أقول أكثر أهمّية لكن أقول أحق بدراسة هذه الظاهرة من النحو لأنه أقرب إلى دائرة اهتمامها ، وإن كان الباحث في أي مجال من هذه المجالات لا يستطيع في دراسة هذه الظاهرة أو غيرها الاستغناء عن بقية المجالات اللغوية على العموم لما بينها من صلات حميمة ووشائج قربى لا يمكن قطع أرحامها في أي دراسة لغوية مهما كانت .

فالذي ينظر مثلا إلى مثل قوله تعالى : ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ (الأنبياء:٧٧)فينظر مثلا في دلالة الفعل (نصر) مركبا مع حرف الجر (من) وكيف أنه قد ضمن [1] في دلالته معنى التنحية ، أي : نجيناه ، ولكنه لم يأت بهذا الفعل (نجيناه) بدلا من (نصرناه) ، لأن هذه النجاة كانت نصرا كذلك ، فهي ليست مجرد تنجية وتخليصا من الأعداء ، بل كانت بتلك الصورة كذلك نصرا عليهم فتركيب هذا الفعل مع هذا الحرف (من) أعطى دلالة فعلين معا في آن واحد ، وهذا ما لا يتحقق لو جاء الكلام على واحد من هذين الأسلوبين :

(ونصرناه على القوم)

أو (ونجيناه من القوم)

أقول : الذي ينظر إلى هذا الفعل بهذه الدلالة الجديدة إنما يعمل في الحقيقة في مجال دلالي بحت .

كما أن الذي ينظر في خصوصية الأسلوب الحاصل من العدول بالفعل عن حرف الجرّ المختص به ، أو الذي شاع استخدامه معه إنما يعمل في الحقيقة في مجال أسلوبي بحت .

وكذلك الذي ينظر في تعلق الفعل بالحرف ، واختصاصه به أو عدم اختصاصه ، ونحو ذلك من مباحث النحو إنما هو في دراسة نحوية صرفة كذلك .

أما الذي ينظر في مدى مطابقة الفعل مع هذا الحرف لسياقه ومقامه الذي ورد فيه فهو ينظر من زاوية أخرى هي زاوية البحث البلاغي الذي يعنى دائما بالنظر في مدى تحقق مطابقة الكلام من عدمه .

وقد اختار البحث زاويتي البحث الأسلوبي والبلاغي لهذه الظاهرة ، وإن كان ـ بطبيعة الحال ـ لا يستطيع تجاهل زاويتيه الأخريين الدلالية والنحوية .

مصطلح التضمين :

لما كان مصطلح التضمين من المصطلحات التي تنازعتها علوم وفنون شتّى بدلالات اصطلاحية متباينة أو متفاوتة لذا فقد لزم التفريق بين إطلاقات هذا المصطلح في كل فن من تلك الفنون التي تنازعته ،حيث إن دلالته في علوم اللغة تختلف عنها في علوم الشريعة ، ودلالته النحوية تختلف عن دلالته في مجالات البلاغة والأدب والنقد ، وهذا الاختلاف ليس من باب الاختلاف اللفظي ، وذلك لأن هذه الفنون التي قد استعارت هذا المصطلح

لا تعبر به في الحقيقة عن ظاهرة واحدة بل تعبر به عن ظواهر متعددة ، الأمر الذي أوقع بعض الباحثين في خطأ نقل كلام بعض الدارسين لإحدى هذه الظواهر في حديثه عن ظاهرة أخرى تختلف كلّ الاختلاف عن الظاهرة التي هو بصدد دراستها [٢]حيث استشهد بكلام يتعلق بنوع من التضمين يعرف بالتضمين العروضي فاستشهد به ضمن حديثه عن التضمين النحوي أو ما سمّيناه بالتضمين الدلالي .[٣]

حول مصطلح التضمين :

التضمين لغةً :

يقال :ضمَّن الشيءَ الشيءَ : أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع والميت القبر ، وقد تضمنه هو : قال ابن الرِّقاع يصف ناقة حاملا :

أوكت عليه مضيقا من عواهنها كما تضمَّن كشح الحرَّة الحبلا

عليه : على الجنين . وكلّ شيء جعلته في وعاء فقد ضمنته إياه .[٤]

قال الليث : "كلّ شيء أحرز فيه شيء فقد ضُمنه ".[٥]

التضمين في الشعر (التضمين العروضي):

التضمين في الشعر مأخوذ من معناه في اللغة ،قال ابن سيده في المحكم :"والمضمَّن من أبيات الشعر ما لم يتم معناه إلا في البيت الذي بعده ، وليس بعيب عند الأخفش وأن لا يكون تضمين أحسن ....

قال النابغة :

وهم وردوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عُكاظ إنِّي

شهدت لهم مواطن صادقات أتيتهم بودِّ الصدر منِّـــــي"[٦]

التضمين الفقهي :

وهو التغريم لأن المضمَّن (المغرَّم) يلتزم أداء هذا الغرم أو الحق فكأنه متضمن له ، وذلك من قولهم :

(ضمّنته الشيء تضمينا فتضمنه عني : غرّمته فالتزمه) [٧]

التضمين النحوي :

وصف ابن جني ظاهرة التضمين بقوله :" باب من هذه اللغة واسع لطيف طريف، وهو اتصال الفعل بحرف ليس مما يتعدى به؛ لأنه في معنى فعل يتعدى به. من ذلك قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ (البقرة: ١٨٧) لما كان في معنى الإفضاء عداه بإلى "[٨]

ويبينه ابن هشام بقوله :" قد يشربون لفظا معنى لفظ ، فيعطونه حكمه ، ويسمَّى ذلك تضمينا "[٩]

ونرى أن تعريف ابن هشام أوسع من تعريف ابن جنّي حيث إنه لا يقتصر على الأفعال وحدها بل يتسع لغيرها كذلك من أنواع الكلم ، ويشهد لذلك قول ابن الأنباري :"وأما (هؤلاء) فإنما بنيت لتضمنها معنى حرف الإشارة"[١٠]

وقول ابن يعيش معللا بناء (أمس) : "والصواب أنه إنما بني لتضمنه لام المعرفة "[١١]

وقول الزمخشري في بيان سبب تعدِّي الفعل (عدا) ب (عن):"وإنما عدّي ب(عن) لتضمن (عدا) معنى (نبا) و(علا) ."[١٢]

التضمين البديعي :

التضمين البديعي هو أن يعمد الشاعر أو الناثر إلى بيت شعر أو عبارة لغيره فيضمنها كلامه ، شعرا كان أو نثرا ، على سبيل التمثيل .وبهذا عرفه ابن الأثير فقال: "أن يضمِّن الشاعر شعره و الناثر نثره كلاما آخر لغيره ، قصد الاستعانة على تأكيد المعنى المقصود"[١٣]وأمثلته كثيرة شهيرة ولا حاجة إلى الإطالة بذكرها .

التضمين البياني :

التضمين البياني ذكره ابن كمال باشا فقال: "التضمين أن يقصد بلفظ معناه الحقيقي ، ومعنى لفظ آخر يناسبه ، ويُدَلُّ عليه بذكر شيء من متعلقات الآخر ، كقولك أحمد إليك فلانا ، فإنك لاحظت فيه معنى الحمد مع معنى الانتهاء ، ودللت عليه بذكر صلته ،أعني كلمة(إلى)" .[١٤]

وعرفه العزُّ بن عبد السلام بأنه "تضمين اسم معنى اسم ، لإفادة معناه ، فتعديه تعديته في بعض المواضع ، كقوله تعالى : (حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ) (الأعراف: ١٠٥) ، فتضمن حقيق معنى فعل آخر فتعديه أيضا تعديته في بعض المواضع"[١٥]

وقد اختلفوا في تصنيفه من حيث الحقيقة والمجاز على أربعة أقوال :

يقول الشيخ محمد الخضر حسين في بيان صلة التضمين بعلمي النحو والبلاغة :

" فللتضمين صلة بقواعد الإعراب من جهة تعدي الفعل بنفسه أو تعديه بالحرف ، وصلة بعلم البيان من جهة التصرف في معنى الفعل ، وعدم الوقوف به عند حد ما وضع لـه ، ومن هذه الناحية لم يكن كبقية قواعد علم النحو، قد يستوي في العمل بها خاصة النـاس وعامتهم ."[٢٠]

ولذا ذهب فريق من أهل العلم إلى أن التضمين النحوي هو التضمين البياني بعينـه .[٢١] والحق أن الفريقين وإن اشتركا في تعريف مصطلح التضمين ودلالته العامة فإنهما قد افترقا في مجال البحث فيما وراء ذلك فعلماء النحو كثيرا ما يتخذون التضمين علّة نحوية لتقـويم بعض الأساليب اللغوية الواردة في فصيح الكلام ؛ إذا رأوا فيها خروجا عن الكثير الشائع ، واكتفوا ببيان الرابط العام المعنوي الذي يربط بين معنى الفعل المضمَّن والمضـمَّن ،أمـا علماء البيان فكانت عنايتهم الكبرى هي بيان العلاقة بين المعنيين؛ لذا كثر الحديث عندهم عن الحقيقة والمجاز والكناية .[٢٢]

وثمة فرق آخر في كيفية تفسير التضمين ، إذ يرى علماء البيان " أن الفعل المـذكور إنمـا يدل على معناه الوضعي ، ويدل على المعنى الآخر لفظ محذوف ، كالحال من الفعل المقدّر بمعونة قرينة لفظية ، فيجتمع في التضمين معنيان ، ولم يتصوّروا في إشراب الفعل معـنى الفعل الملحوظ ، ليدل على المعنيين جميعا كما فعل النحاة ."[٢٣] والحـق أن النحـويين والبيانيين كليهما في دراستهم النظرية لم يعطوا هذا الأسلوب حظه من الدراسة الدلاليـة الفنية التي تعنى بدراسة التوظيف البلاغي والأسلوبي لهذا الأسلوب فالفريق الأول قد غلب عليهم المنهج المعياري الذي يعنى ببيان الخطأ والصواب ؛ فلذا وقفت دراستهم غالبا عنـد حدّ التعليل لما يرون فيه خروجا عن المألوف .

فالنحوي لا يقف عند قوله تعالى : " **لأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ** "(طـه:٧١) ليتأمل الجمال في التعبير ب (في) الدالة على الظرفية لما تعطيه هنا من الدلالية على تمام الإيثـاق ،وإحكام القيد ، ومن ثم شدّة التعذيب ، وإنما يصرف جل اهتمامه للتعليل بالتعبير بـ (في) من خلال النظرة المعيارية التي ترى في ذلك التعبير خروجا عن المألوف يحتـاج إلى تعليل وتبرير ، ومن ثم يجد النحاة في القول بالتضمين بغيتهم في التعليل لهذا الخـروج دون

أن يشغلوا أنفسهم غالبا بالتعليل الفني لاختيار التعبير بهذا الحرف بالـذات دون الآخـر المعدول عنه .

كذلك لم يكن البلاغيون النظريون أحسن حالا من هؤلاء النحويين فقد انشغلوا كـذلك واختلفوا في توصيف العلاقة بين معنى الفعل المضمَّن والمضمِّن هل هي حقيقية أم مجازية أم كنائية أم تجمع بين الحقيقة والمجاز ، فانشغلوا بذلك غالبا عن التعليل الفني لاختيار التعـبير بحرف دون آخر تم العدول عنه .

ومن هنا تأتي قيمة البعد الأسلوبي في هذا البحث الذي يهتم اهتماما كبيرا برصد ظـاهرة العدول في الأساليب ، خاصة إذا أضفنا لذلك – أيضا – البعد البلاغي التطبيقـي الـذي يهتم برصد الظاهرة وتحليلها من خلال النصوص والنماذج الرفيعة التي تمثلها لبيان مـدى مطابقتها للسياق والمقام الذي وردت فيه.

والحق أن بلاغيي المفسرين قد أسهموا في ذلك بنصيب كبير مما سيكشف هذا البحث عن بعض نماذجه .

التضمين والأسلوبية :

لقد حظي أسلوب التضمين باهتمام كثير من الباحثين في مجالات اللغة المتعددة كما سبق أن أشرنا ، وقد تعددت رؤى الباحثين في تفسير هذه الظاهرة كلٌّ بحسـب اختصاصـه، ولكن قلّما نظر إلى هذه الظاهرة من خلال معطيات علم الأسلوب من خـلال دراسـة أسلوبية تركز على الخصائص والسمات الأسلوبية التي تميز هذا الأسلوب عن غيره ،وتنظر إليه باعتباره اختيارا يختاره المبدع لخصوصية فنية يريد أن يميز كلامه بها ، تلك الخصوصية التي لا تتوفر بالطبع للبدائل الأسلوبية الأخرى لأسلوب التضمين .

وقد رأيت أن تناول هذه الظاهرة من خلال الدراسة الأسلوبية البلاغية هو الطريق الأمثل – في تصوري – لحل الإشكالية الدلالية لهذا الأسلوب ، تلك الإشكالية الـتي سـوف يكشف عنها البحث في صفحاته التالية ، ويعمل على حلّها من خلال النظرة الأسـلوبية البلاغية التي سوف يتخذها البحث منهجا لهذه الدراسة المتواضعة .

الأسلوبية والتوظيف الأسلوبي للكلمة :

تعريف الأسلوب :

ونتبين ذلك إذا عرفنا أن الأسلوب له محاور ثلاثة هى المرسل والمستقبل والرسالة[٢٤].

فثمة طائفة نظروا إلى الأسلوب من جهة المرسل باعتبار ما بينهما من تلاحم تام، حيث تم "إدماج المولف صاحب الاختيار فى تعريف الأسلوب على أنه اختيار"[٢٥].

حتى إن أصحاب هذا الاتجاه قد طابقوا بين الأسلوب وصاحبه فقالوا: "الأسلوب هو الرجل"[٢٦].

فالأسلوب على ذلك ما هو إلا سمات تعبيرية مميزة لصاحبه، فالمبدع يختار ويؤثر من الوسائل التعبيرية التي يختارها من بين أنماط اللغة العديدة ما يصير سمة مميزة له، وعلما دالا عليه، وبصمة خاصة أو صوتا ينفرد به لا يختلط بغيره من الأصوات؛ ومن ثم عرّفوا الأسلوب بأنه:

"اختيار واع يسلطه المؤلف على ما توفره اللغة من سعة وطاقات"[٢٧].

أو هو "طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني بقصد الإيضاح والتأثير..."[٢٨].

وعلى أساس تلك النظرة إلى الأسلوب تشابهت تعريفات الأسلوبيين الذين نظروا إليه من جهة المبدع، (**فجيرو**) تلميذ (**بالى**) يعرف الأسلوب بأنه "هو مظهر القول الذي ينجم عن اختيار وسائل التعبير. هذه الوسائل التي تحددها طبيعة ومقاصد الشخص المتكلم أو الكاتب" ونادى كذلك بتصور الأسلوب على أنه اختيار ماروزو، روسل، هل، ديفوتو، أنطوانى، كريسوت وغيرهم[٢٩].

والحق "أن الأصول النظرية لهذا الاتجاه الذي نحن بصدده تتجذر فى تفرقة (**دوسوسير**) العالم اللغوي الشهير بين اللغة والكلام[٣٠].

فاللغة عند سوسير هي مجموعة النظم والرموز المجردة المختزنة في أذهان أبناء الجماعة اللغوية الواحدة، أما الكلام فهو التحقق الفعلي لتلك النظم والرموز في استعمال (**منطوق أو مكتوب**) بعينه[٣١].

فاللغة هي المعين الذي يغترف الجميع منه، أو قل هي الأصباغ التي يأخذ منها المبدعون جميعا ولكنهم يشكلونها في صور شتى بحسب ما يتميز به كل منهم من سمات الفن وخصائصه، ولا شك أن للاختيار المناسب للصيغ ووضعها موضعها من الصورة أثرا لا ينكر فى تشكيل تلك الصورة وتميز مبدع عن آخر، مع اتحاد مادتهما؛ ومن ثم يتلاقى الدارسون الذين نظروا إلى الأسلوب من هذه الزاوية فى تعريف الأسلوب بأنه اختيار.

ويوضح أ/ الشايب حقيقة الاختيار ببيان" أن الأسلوب الأدبى ينحل إلى عناصر ثلاث:

١- الأفكار

٢- والصور

٣- والعبارات

وهذا الذي ذهب إليه الأسلوبين المحدثون لا يكاد يختلف كثيرًا عما قرره علماء البلاغة قديمًا ، فهذا التميز أو التفرد الأسلوبي - الذي يتميز به المستوى الفني من الكلام - هو ما عبر عنه البلاغيون القدامى بحسن التخير للفظ؛ حتى إن بعضهم قد قصر البلاغة على حسن التخير.

وهذا ما انتهى إليه كلام عبد القاهر فى تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك، حيث ينتهي كلامه فى هذا المقام إلى أنه **(لا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتى المعنى من الجهة التى هى أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذى هو أخص به...)**[٣٢].

العدول الأسلوبي :

إذا كان هؤلاء الأسلوبيون قد عرفوا الأسلوب على أنه اختيار فإن أكثر الأسلوبيين قد نظروا إلى الأسلوب على أنه نوع من العدول أو ما سموه بالانحراف أو الانزياح أو المجاوزة ونحو ذلك مما يقصد به التعبير عن خروج الكلام عن المألوف أو الشائع ومجاوزته إياه .

ونستطيع أن نلمح وقوف البلاغيين على هذا الانحراف واعتماده لديهم أساسا للكشف عن التوظيف البلاغى للكلمة وهو ما أطلق عليه فى تراثنا البلاغى مصطلح العدول. فإذا كانت البلاغة ترجع فى سائر تعريفات البلاغيين التى سبق ذكرها إلى حسن تخير اللفظ، فإنه مما يجدر بنا التنبيه إليه أن هذا التخير أو الاختيار للفظ يمثل فى غالب الأحيان أنواعا من العدول.

فالاختيار فى حقيقته إنما هو عدول عن المستوى النمطى أو العادى من اللغة إلى المستوى الفنى من الكلام وقد يمثل تخير اللفظ نوعا من العدول عن النظام اللغوى أو عن الاستخدام الشائع، أو عدولا داخليا وهو ما يسميه ريفاتير بالعدول السياقى ، كما سنبين ذلك قريبا.

وفى الحقيقة أن النظرة إلى العدول على أنه عدول عن المستوى النمطى إلى المستوى الفنى نظرة لا تكاد تفرق بينه وبين الاختيار أما العدول الجدير بإفراده بمصطلح خاص يميزه

عن الاختيار وإن كان يشترك معه في كونه انتقاء للفظ وإيثاراً له على غيره هذا العدول هو ما كان يمثل فى رأيي نوعا من العدول عن النظام أو الأصل اللغوى أو نوعا من العدول عن سياق النص وهو ما عرف فى التراث اللغوى والبلاغى بالمجاز[٣٣] والنقل، والانتقال، والتحريف، والانحراف، والرجوع، والالتفات، والعدول، والصرف، والانصراف، والتلون، ومخالفة مقتضى الظاهر، وشجاعة العربية، والحمل على المعنى، والترك، ونقض العادة، وغير ذلك[٣٤].

هذا العدول قد عبر عنه فى الدراسات الحديثة بمصطلحات عديدة كذلك، منها : الانحراف، والانزياح، والاختلال، والانتهاك، والتجاوز، والمخالفة، واللحن، وخرق السنن والشناعة، والإطاحة، والتحريف .. الخ[٣٥] فإذا كان النظر إلى الأسلوب من زاوية المنشىء قد أثمر مقولة الاختيار، فإن النظر إليه من زاوية النص أو الرسالة قد أثمر مقولة العدول أو ما أسموه بمصطلحات عديدة لعل أبرزها، مصطلح الانحراف[٣٦] DEVIATION

وذهب ريفاتير إلى اعتبار القاعدة في العدول هي السياق نفسه.

والسياق الأسلوبى عند ريفاتير ليس هو التداعى وليس هو التوالى اللغوى الذى يحصر تعدد المعنى أو يضيف إيحاءات خاصة للكلمات بل هو (نموذج لغوى ينكسر بعنصر غير متوقع) والتضاد الناجم عن هذا الاختلاف هو المثير الأسلوبى. وقيمة التضاد الأسلوبية تكمن فى نظام العلاقات الذى يقيمه بين العنصرين المتقابلين فلن يكون له أى تأثير ما لم يتداع فى توال لغوى. وبعبارة أخرى فإن عمليات التضاد الأسلوبية تخلق بنية مثلها فى ذلك مثل بقية التقابلات المثمرة فى اللغة[٣٧].

إن نظرية العدول السياقى عند ريفاتير هى أقرب شىء إلى ظاهرة الالتفات فى البلاغة العربية ولذا تعد من نقاط الالتقاء بين الأسلوبية الحديثة وبين البلاغة العربية فى تناولها لظاهرة العدول وخاصة فى مبحث الالتفات[٣٨].

ومن ثم نستطيع أن نطبق ذلك على أسلوب التضمين فنرى فيه نوعا من الاختيار الفنيّ المقصود — إذا ما نظرنا إليه من جهة المرسل — أو نرى فيه نوعا من العدول عن المستوى النمطي من الكلام ، أو عن القاعدة اللغوية ، أو النظام اللغوي ،أو الكلام الشائع ، أو قاعدة السياق ، كلُّ ذلك بغرض إحداث ظاهرة أسلوبية لافتة تهدف إلى إحداث نوع من التأثير في المخاطب لإشعاره بجماليات التعبير ومناسبته لسياقه ؛ وذلك لأن ما ذهب إليه ريفاتير من نظرية العدول السياقي لا يمكن فهمه على أساس أنه خروج على ما يقتضيه

السياق في الحقيقة ؛ وذلك لأن السياق الحقيقي لا يراد به السياق الظاهر الذي قد ينخدع به غير المتخصص في معرفة الأساليب اللغوية ، وإنما يراد به السياق الحقيقي الذي يفهمه المتعمق في فهم أسرار الكلام البليغ ومقاصده ، وأشبه شيء بذلك على نحو ما مثلنا به من قبل إنما هو ظاهرة الالتفات في البلاغة العربية ،ولذا فقد عدها البلاغيون من أمثلة الخروج على مقتضى الظاهر ، فالبليغ إنما يترك مراعاة ظاهر السياق ليراعي في الحقيقة السياق الحقيقي الذي هو جدير بالمراعاة ؛ فالخروج من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ في سورة الفاتحة إنما ترك ظاهر السياق في التزام التعبير بالغيبة مراعاة للسياق الحقيقي ، أو السياق الجديد – على رأي ريفاتير — وهو حال الإقبال على الله ، والتعرف عليه ، واستحضار عظمته ، وذلك بعد تأمل العبد فيما مرَّ عليه من صفات ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾

وبالمثل يمكن النظر إلى ظاهرة التضمين بتلك النظرة الأسلوبية التي ترى في هذه الظاهرة نوعا من التخير الفنيّ أو العدول الفنيّ بقصد التأثير في المخاطب وتحقيق المطابقة للسياق الحقيقي للكلام أو السياق الجديد إن كان ثمة سياق جديد في الكلام .

إشكالية البحث:

الغالب في أساليب العربية أن كل فعل من أفعالها يختص بتعدِّيه إلى حرف جرٍّ معينٍ لا يتجاوزه ، بحيث يطرد استعمال هذا الحرف مع الفعل المختص به ، وينـدر أن يتعدى الفعل إلى أكثر من حرف من حروف الجر ، وقد رصدت المعاجم العربية منذ نشأتها هذا التعدي ونصت عليه، فإذا أشكل على مستخدم للفعل تعيين هذا الحرف مع الفعل المعني عاد إلى المعجم ، أو إلى السماع الفصيح : من قرآنٍ كريم وحديثٍ شريف وشعرٍ وقولٍ منثورٍ مما يصح الاستشهاد به .

وتتمثل إشكالية البحث في أن بعض الأفعال التي ترد في كثير من الآيات القرآنية الكريمة قد تخالف ذلك بتعديها إلى غير ما نصّت عليه معاجم اللغة من الحروف ،ومن ثم يمثل ذلك إشكالية تحتاج إلى تفسير الباحثين لاتفاق أهل الملّة على إعجاز هذا الكتاب العزيز ، وإقرار عموم الناظرين فيه المنصفين من غير أهل الملّة على بلوغه أقصى غايات الفصاحة والبلاغة مما يبعد عنه احتمال الخطأ في ذلك أو غيره، ومن ثم فلا بد من تخريج مقبول لذلك على وجه تستقيم به معاني الكلم مع سياقها ومقامها.

كما قد يقع مثل ذلك في الحديث النبوي [٣٩] أو الشعر العربي الفصيح؛[٤٠] مما يحوج إلى تخريج مقبول لاستبعاد وقوع الخطأ في مثل ذلك .

ومن ثم تعددت الدراسات لهذه الظاهرة في القديم والحديث ، وإن كانت قد انحصرت في معظمها في دائرة الدراسة النحوية حيث اقتصرت معظم هذه البحوث على محاولة تحديد موقع التضمين ،وهل هو الفعل أو الحرف ؟

ففي مثل قوله تعالى ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ (الأنبياء:٧٧)يذهب البعض إلى وقوع التضمين في الفعل ، فيرى أنه قد ضمن معنى التنجية ،بينما يرى فريق آخر أن التضمين إنما وقع في الحرف لا الفعل ، فيرى أن الحرف (من) قد ضمن معنى (على) .

ومن ثم ذهب جماعة من المصنفين في حروف العربية ومعهم علماء الكوفة وآخرون ممن سماهم ابن قيم الجوزية [٤١]بظاهرية النحاة إلى حلّ هذه الإشكالية بالقول بنيابة الحروف أو بوقوع التضمين فيها ، وهذا ما نجده في العديد من كتب هذا الفن مثل " رصف المباني " للمالقي و " الجنى الداني " للمرادي ، و "مغني اللبيب " لابن هشام ، و" مصابيح المغاني " للموزعي ، ، فالفعل إذاً باقٍ على معناه المعهود ، و لم تنتقل دلالته المعنوية إلى معنى فعل آخر ، واختلاف المعنى محصور في الحرف ، إذ اكتسب معنى حرف آخر يستحق هذه التعدية.

وممّن ينحو هذا المنحى في التفسير الإمام ابن قتيبة في كتابه " تأويل مشكل القرآن " [٤٢]

وقد عقد باباً بعنوان " دخول بعض حروف الصفات مكان بعض " ، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ (طه: ٧١)فيرى أن حرف الجر (في) بمعنى (على) ، والمعنى : على جذوع النخل ، وبقوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾(الفرقان :٥٩) أي : عنه ، وبقوله تعالى :﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾(النجم :٣)

أي بالهوى ، فحرف الجر " عن " بمعنى الباء.

أما ابن هشام في " مغني اللبيب " فقد عبّر عن هذا الباب بالمرادفة [٤٣] وأورد طائفة من الآيات على هذا المصطلح . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾(الشورى :٢٥) فيرى أن الحرف (عن) مرادف للحرف (من) فيكون المعنى :" وهو الذي يقبل التوبة من عباده " .

أما المذهب الثاني فهو الذي يُطْلق على هذه الظاهرة مصطلح " التضمين " ، [٤٤] ويرى أن الفعل قد تضمّن معنى فعل آخر ، وحرف الجر مَسُوق لإتمام معنى هذا الفعل .فالتضمين عندهم : إيقاع لفظ موقع غيره ومعاملته معاملته ، لتضمنه معناه ، واشتماله عليه ، أو هو إشراب فعلٍ أو مشتقٍ أو مصدرٍ معنى فعل آخر أو مشتق أو مصدر ، ليجري مجراه في التعدي والمعنى ، مع إرادة معنى المتضمَّن . والغرض منه إعطاء مجموع المعنيين ، وذلك أقوى من إعطاء معنى واحد .

ويجري على التضمين بهذه الدلالة كثير من أفعال القرآن الكريم . ومن ذلك قوله تعالى :﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ (البقرة :١٨٧)
يقول الدكتور : محمد ندىم فاضل :"فتضمين الرفث وهو مقدمات المباشرة أو المباشرة ذاتها معنى الإفضاء ، والمتعدى بـ " إلى " ، يمنح العلاقة بين الزوجين لمسة إنسانية ترفع بها عن عالم الحيوان ، لمسة حانية ، فيها من الرفق والنداوة والشفافية مثلما فيها من سمو المشاعر ، وتعبر (إلى) هذه عن مسافر وجهها الجميل لتحكي ما اشتملت عليه المشاعر حين جمعت الرفث إلى الإفضاء فيما أحل الله للزوجين في شهر الصيام لتنأى بهما عن عرام الجسد ، والحبس في الرغبات المكبوتة في اللحم والدم بعد أن تستتبع خلفها معنى الستر يتدثر به كل من الزوجين ، وتتصل بأفق أرفع من الأرض وبغاية أسمى من اللذة ، ترقّ وترْقى إلى معارج عليا .... وحَسبُ التضمين أنه جعل في لفظ الرفث نداوة يخضرّ بها ، ويرمي ظلاله ، ولمسة رفافة تنأى عن عرام الجسد تبتغي الإعفاف والإنجاب ، وتوقظ معنى الستر في هذا الحرف " إلى " ، فجمع من صنوف البيان ما ذاع صيته على كل لسان"[٤٥]وانتصر كثيرون لنظرية التضمين في الأفعال لا الحروف ، ومنهم ابن العربي الإشبيلي ، يقول : " وكذلك عادة العرب أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال لما بينهما من الارتباط والاتصال ، وجهلت النحوية هذا ، فقال كثير منهم : إن حروف الجر يبدل

بعضها من بعض، ويحمل بعضها معاني البعض ، فخفي عليهم وضْعُ فعلٍ مكان فعل وهو أوسع وأقيس ، ولجؤوا بجهلهم إلى الحروف التي يضيق فيها نطاق الكلام والاحتمال"[٤٦]

وممن قال بالتضمين في الأفعال ابن هشام ، مع أنه خرَّج كثيراً من الشواهد على طريقة تضمين الحروف ، يقول : " قد يشربون لفظاً معنى لفظٍ فيعطونه حكمه ، ويسمى ذلك تضميناً ، وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين نحو قوله تعالى:﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ (آل عمران :١١٧) ضُمِّن معنى يُحرموه :"[٤٧]

وكذلك الحافظ السيوطي إذ يقول : " إيقاع لفظ موقع غيره لتضمن معناه"[٤٨]

موقف ابن جنيّ:

يقول ابن جني :" اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه. وذلك كقول الله عز اسمه: :﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ (البقرة :١٨٧) وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة وإنما تقول: رفثت بها، أو معها؛ لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء؛ وكنت تعدي أفضيت بإلى كقولك: أفضيت إلى المرأة، جئت بإلى مع الرفث؛ إيذاناً وإشعاراً أنه بمعناه؛ كما صححوا عور وحول لما كانا في معنى اعور واحول. وكما جاءوا بالمصدر فأجروه على غير فعله لما كان في معناه؛ نحو قوله:

وإن شئتم تعاودونا عوادا

لما كان التعاود أن يعاود بعضهم بعضاً. وعليه جاء قوله:

وليس بأن تتبعه اتباعاً

ومنه قول الله سبحانه: ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا ﴾ . (المزمل:٨)وأصنع من هذا قول الهذلي:

ما إن يمس الأرض إلا منكب ... منه وحرف الساق طي المحمل

فهذا على فعل ليس من لفظ هذا الفعل الظاهر؛ ألا ترى أن معناه: طوى طي المحمل؛ فحمل المصدر على فعل دل أول الكلام عليه. وهذا ظاهر.

وكذلك قول الله تعالى:﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (آل عمران :٥٢) أي مع الله، وأنت لا تقول: سرت إلى زيد أي معه؛ لكنه إنما جاء من أنصاري إلى الله لما كان معناه: من

ينضاف في نصرتي إلى الله، فجاز لذلك أن تأتي هنا إلى. وكذلك قوله عز اسمه: ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ (النازعات:١٨) وأنت إنما تقول: (هل لك في كذا)، لكنه لما كان على هذا دعاء منه (صلى الله عليه وسلم) صار تقديره؛ أدعوك وأرشدك إلى أن تزكى." [٤٩]

لقد نسب عدد من الباحثين إلى ابن جني القول بالتضمين في الأفعال فقال : "وقد حاول ابن جني أن يضع لهذا الباب ضابطا سماه فيما بعد تضمينا "[٥٠] ثم استشهد على كلامه ببعض ما ذكرناه عن ابن جني في هذا النص .[٥١] وقد راجعت أصل كلام ابن جني الذي استشهد به الباحثان على كلامهما فلم أجد فيه ما يدل على التضمين بمعناه الذي اصطلح عليه النحويون والبيانيون وعموم اللغويين فيما نحن بصدده من "أن يُدلَّ بكلمة واحدة على معنى كلمتين "[٥٢] و"أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين ، فالكلمتان مقصودتان معاً قصداً وتَبَعاً"[٥٣] ولذا فقد أوردت هذا النص بطوله وليس فيه التضمين بهذا المعنى المذكور لا بلفظه ولا بمعناه ، بل غاية ما فيه أن ابن جني يرى"أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه."[٥٤] فليس في كلامه أن الفعل المذكور قد ضمن معنى فعل آخر ،بل غاية ما فيه أن هذا الفعل قد استعمل بمعنى الفعل الآخر ، وبينهما فارق عظيم لا يخفى ؛ فالقول بالتضمين يعني ضم دلالة الفعل المذكور إلى دلالة الفعل المقدر لتتركب منهما دلالة جديدة على نحو ما بينا في الأمثلة المذكورة للتضمين في البحث ، ومن ثم ينبغي التفريق بين أن يقال إن ابن جني قد تعرض لظاهرة التضمين ـــ كما سبق أن نقلنا كلامه عنه ـــ وبين أن ينسب إليه القول بالتضمين بمعناه الاصطلاحي الذي استقرت عليه تعريفات النحويين والبلاغيين . فنحن لا نوافق على أن الرفث إلى النساء هنا مرادف للإفضاء إليهن كما هو ظاهر كلام ابن جني أنه في معناه كما في قوله :"لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء؛ وكنت تعدي أفضيت بإلى كقولك: أفضيت إلى المرأة، جئت بإلى مع الرفث؛ إيذاناً وإشعاراً أنه بمعناه" بل مقتضى التضمين أنك ضممت إلى معنى الرفث معنى الإفضاء و لم تلغ دلالة الرفث ، وإلا فلماذا ذكر لفظ الرفث أصلا إن كانت دلالته هدرا ؟! ولماذا لم يستبدل بالإفضاء إن كان هو المقصود وحده ؟!

ولكن الحق أن المزية التي يرجع إليها التضمين هي كما قال الزمخشري ونقلنا نحوه عن ابن هشام وأبي البقاء الكفوي آنفا :

"فإن قلت :أي غرض في هذا التضمين؟ ... قلت الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين ،وذلك أقوى من إعطاء معنى فذّ"(٥٥)

والحق أننا لا نظن أن مثل هذا الذي ذكرناه عن العلماء قد ذهل عنه ابن جنّي، ولكن العبارة المستشهد له بها في هذا الصدد لا تدل على هذا المعنى ، كما أنه هو لم يسم ذلك تضمينا ، وإن كان ما ذكره صحيحا في ذاته أن العرب قد توقع الفعل مكان غيره إذا تقاربت دلالتهما (٥٦) ويكون ذلك على سبيل التسامح والتغاضي كما يحدث في المجاورة وغيرها من الظواهر اللغوية المبنية على التساهل والمسامحة .

غير أنه يحمد لابن جني ما ذهب إليه من منع الاطراد في نيابة الحروف بعضها مكان بعض ، وإن كان لم يمنع من وقوع ذلك في اللغة لوجود الشواهد الدالة عليه ولما يكون من التقارب في الدلالة الوضعية لبعض الحروف تصحح نيابة بعضها مكان الآخر .

ولكنه ذهب إلى عدم اطّراده فهو يبوب "باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض" ويقول فيه:

"هذا باب يتلقاه الناس مغسولاً ساذجاً من الصنعة. وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه.

وذلك أنهم يقولون: إن " إلى " تكون بمعنى مع. ويحتجون لذلك بقول الله سبحانه: ﴿ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران:٥٢)أي مع الله. ويقولون: إن " في " تكون بمعنى على، ويحتجون بقوله عز اسمه: ﴿ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ (طه: ٧١) أي عليها. ويقولون: تكون الباء بمعنى عن وعلى، ويحتجون بقولهم: رميت بالقوس أي عنها وعليها؛ ....وغير ذلك مما يوردونه.

ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا؛ لكنا نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع، على حسب الأحوال الداعية إليه، والمسوغة له، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا؛ ألا ترى أنك إن أخذت بظاهر هذا القول غفلاً هكذا، لا مقيداً لزمك عليه أن تقول: سرت إلى زيد، وأنت تريد: معه، وأن تقول: زيد في الفرس، وأنت تريد: عليه، وزيد في عمرو، وأنت تريد: عليه في العداوة، وأن تقول: رويت الحديث بزيد، وأنت تريد: عنه، ونحو ذلك، مما يطول ويتفاحش. ولكن سنضع في ذلك رسماً يعمل عليه، ويؤمن التزام

الشناعة لمكانه. [٥٧] وهذا واضح في الدلالة على مذهبه في صحة وقوع ذلك في اللغة دون اطراده ، وهو مذهب صحيح بلا شك .

موقف المفسرين :

انتصر كثير من المفسرين لنظرية التضمين في الأفعال لا الحروف، ومنهم :

الزمخشري فيما سبق نقله عنه آنفا [٥٨]

موقف الإمام الطبري :

نستطيع أن نلمح موقف الإمام الطبري من كلامه على قوله تعالى:

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾(البقرة: ١٤)

حيث ذكر قول الذاهبين إلى النيابة أو المعاقبة في الحروف ومقتضاه أن المعنى :"خلوا مع شياطينهم"، إذ كانت حروف الصِّفات يُعاقِبُ بعضُها بعضًا [٥٩].

كما قال الله مخبرًا عن عيسى ابن مريم أنه قال للحواريين:(مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) (سورة الصف: ١٤)، يريد: مع الله. وكما توضع"على" في موضع"من"، و" في" و"عن" و"الباء"، كما قال الشاعر:

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ... لَعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا [٦٠] بمعنى عَنِّي." [٦١] ،

ثم ذكر الطبري قولا لأهل الكوفة ذهبوا فيه إلى التضمين فقال:

"وأما بعض نحويي أهل الكوفة، فإنه كان يتأوَّل أن ذلك بمعنى: وإذا لَقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا صَرفوا خَلاءهم إلى شياطينهم - فيزعم أن الجالب لـ "إلى"، المعنى الذي دلّ عليه الكلامُ: من انصراف المنافقين عن لقاء المؤمنين إلى شياطينهم خالين بهم، لا قوله"خَلَوْا". وعلى هذا التأويل لا يصلح في موضع"إلى" غيرُها، لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها.

وهذا القول عندي أولى بالصواب، لأن لكل حرف من حُرُوف المعاني وجهًا هو به أولى من غيره فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها. ولـ "إلى" في كل موضع دخلت من الكلام حُكْم، وغيرُ جائز سلبُها معانيَها في أماكنها". [٦٢]

موقف الإمام ابن تيمية :

ذهب الإمام ابن تيمية مذهب التضمين فقال :

"الْعَرَبُ تُضَمِّنُ الْفِعْلَ مَعْنَى الْفِعْلِ وَتُعَدِّيهِ تَعْدِيَتَهُ وَمِنْ هُنَا غَلِطَ مَنْ جَعَلَ بَعْضَ الْحُرُوفِ تَقُومُ مَقَامَ بَعْضٍ كَمَا يَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ : ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ (ص :٢٤) @و { مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ } أَيْ مَعَ اللَّهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ وَالتَّحْقِيقُ مَا قَالَهُ نُحَاةُ الْبَصْرَةِ مِنْ التَّضْمِينِ فَسُؤَالُ النَّعْجَةِ يَتَضَمَّنُ جَمْعَهَا وَضَمَّهَا إلَى نِعَاجِهِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : { وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ } ضُمِّنَ مَعْنَى يُزِيغُونَك وَيَصُدُّونَك وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : { وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا } ضُمِّنَ مَعْنَى نَجَّيْنَاهُ وَخَلَّصْنَاهُ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : { يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ } ضُمِّنَ يُرْوَى بِهَا وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ ". (٦٣)

موقف ابن كثير :

كذلك فقد ذهب ابن كثير مذهب شيخه ابن تيمية في التضمين فقال في تفسير في قوله تعالى :{ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ } :"فيه تضمين دل عليه حرف "الباء" ، كأنه مُقَدر: يستعجل سائل بعذاب واقع. كقوله: { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ } أي: وعذابه واقع لا محالة.

وقال ابن أبي نَجيح، عن مجاهد في قوله: تعالى { سَأَلَ سَائِلٌ } دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة، قال: وهو قولهم: { اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [الأنفال: ٣٢](٦٤).

وذكر القرطبي التضمين في تفسيره في مواضع :

منها قوله تعالى :

"قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ" (٤٦)

قال :"(من إله غير الله يأتيكم به) " من " رفع بالابتداء وخبرها " إله " و " غيره " صفة له، وكذلك " يأتيكم " موضعه رفع بأنه صفة " إله " ومخرجها مخرج الاستفهام، والجملة التي هي منها في موضع مفعولي رأيتم.

ومعنى " أرأيتم ":علمتم، ووحد الضمير في (به) - وقد تقدم الذكر بالجمع - لأن المعنى أي بالمأخوذ، فالهاء راجعة إلى المذكور.

وقيل: على السمع بالتصريح، مثل قوله: " والله ورسوله أحق أن يرضوه " (٢) [التوبة: ٦٢] ودخلت الأبصار والقلوب بدلالة التضمين."[٦٥]

فالقرطبي هنا يرى أن الضمير في به يرجع إلى السمع وحده لأن الضمير مفرد ، وأنه تدخل فيه الأبصار والقلوب بدلالة التضمين .

موقف ابن العربي الإشبيلي :

سبق أن أوردنا كلام ابن العربي الإشبيلي فيما ذهب إليه من تضمين الأفعال حيث يقول :"وكذلك عادة العرب أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال لما بينهما من الارتباط والاتصال ....إلخ" [٦٦]

موقف البيضاوي :

وبيَّن البيضاوي أن سبب التعدية بـ"{عَنْ} لتضمنه معنى الإعراض أو يصدون عن أمره"[٦٧]

موقف ابن عطية :

عند تفسير قوله تعالى: ("وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ..." (البقرة ١٤) ضعّف ابن عطية قول من ذهب إلى أن (إلى) بمعنى (مع) أو (الباء) بحجة أن هذا "يأباه الخليل وسيبويه وغيرهما"[٦٨]، وفي قوله تعالى: "قَالَ مَنْ أَنصَارِيَ إِلَى اللهِ..." (آل عمران:٥٢) يذكر قولاً عن بعض المفسرين يرون فيه أن (إلى) هنا بمعنى (مع)، ثم يعقّب على ذلك بقوله: "نعم، إن (مع) تسدّ في هذه المعاني مسدّ (إلى)، لكن ليس يباح من هذا أن يقال: إن (إلى) بمعنى (مع) حتى غلط في ذلك بعض الفقهاء في تأويل قوله تعالى:"وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ"(المائدة:٦)فقال: (إلى) بمعنى (مع)، وهذه عُجْمة، بل (إلى) في هذه الآية غاية محردة، وينظر هل يدخل ما بعد (إلى) فيما قبلها من طريق آخر"[٦٩]، ولذلك يرى أنه لا حاجة تدعو إلى أن "نجعل حرفا بمعنى حرف، إذ قد أبى ذلك رؤساء البصريين"[٧٠]

والصواب – عند ابن عطية- أن "لا نقول إن حرفًا بمعنى حرف، بل نقول: إن المعنى يتوصل إليه بـ(في) وبالباء أيضا"[٧١]، ولعل ابن عطية يحاول بذلك الخروج من الخلاف ، ولذلك استعمل هذا المصطلح في أكثر من موضع، منها قوله عند تفسيره قوله تعالى: ("فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ..." إبراهيم ٩) : إن "وَصْل الفعل بـ(في) عوض وصوله بالباء"[٧٢]، وكذلك قوله: إن "اللام توصّل المعنى توصيل (على)"[٧٣] ، في قوله تعالىَ :"سأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ" (المعارج: ١)وكذلك قوله عند تفسيره قوله تعالى:"هُوَ

الذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ..." (التوبة: ١٠٤) يصح أن تكون (عن) بمعنى (من) وكثيرا ما يتوصل في موضع واحد بهذه وهذه، وتقول: لا صدقة إلا عن غِنًى، ومن غِنًى" [٧٤]

موقف الألوسي :

كذلك فقد ذهب الألوسي إلى القول بالتضمين في قوله تعالى :" فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ " قال :"أي فألبثه ميتاً مائة عام ولا بد من اعتبار هذا التضمين لأن الإماتة بمعنى إخراج الروح وسلب الحياة مما لا تمتد "[٧٥] وقال في موضع آخر:"وقوله تعالى شأنه : { سماعون لِقَوْمٍ ءاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ } خبر ثان للمبتدأ المقدر (مقرر) للأول ، ومبين لما هو المراد بالكذب على تقدير التقوية والتضمين ، واللام هنا مثلها في (سمع الله لمن حمده) والمعنى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين ، واختاره شيخ الإسلام ."[٧٦]

وقال في قوله تعالى :"وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦)

"{ وَقَضَيْنَا } أي أوحينا { إِلَيْهِ ذَلِكَ الامر } مقضياً مثبتاً فقضى مضمن معنى أوحى ولذا عُدِّى تعديته" [٧٧] كذلك فقد ذهب الألوسي إلى القول بالتضمين في قوله تعالى :"فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى "

قال : "{ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشيطان } أفضى الوسوسة إليه ،..وذكر غير واحد أن وسوس فعل لازم مأخوذ من الوسوسة وهي حكاية صوت كولولة الثكلى، ووعوعة الذئب ،ووقوقة الدجاجة، وإذا عدى بإلى ضمن معنى الإفضاء"[٧٨]

موقف الشوكاني :

في قوله تعالى : (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور :٦٣)

قال الشوكاني :"عديّ فعل المخالفة بـ(عن) مع كونه متعدّياً بنفسه لتضمينه معنى الإعراض ، أو الصدّ " [٧٩]

موقف الطاهر بن عاشور :

حيث ذهب إلى تضمين الفعل { سأل } في قوله تعالى : "سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ" فقال: "ومن بلاغة القرآن تعدية { سأل } بالباء ليصلح الفعل لمعنى الاستفهام والدعاء والاستعجال"[٨٠]

اضطراب القائلين باطراد النيابة سواء في الفعل أو الحرف :

رأينا فيما سبق عرضه كيف اختلف قول ابن هشام في القول بنيابة الحروف حيث ذهب في بعض المواضع إلى اختيار القول بالتضمين في الأفعال .

كذلك فقد اضطرب ابن عطية فيما ذهب إليه من اختيار القول بالتضمين في الأفعال حيث ذهب في بعض المواضع إلى اختيار القول بالتضمين في الحروف أو القول بنيابتها ، كما حاول الخروج من الخلاف أحيانا فقال فيما سبق نقله عنه :" لا نقول إن حرفًا بمعنى حرف، بل نقول: إن المعنى يتوصل إليه بحرف كذا وكذا".

لكنه لم يلتزم بهذا القول الذي حاول به الخروج من الخلاف ،بل خرج عنه إلى القول بنيابة الحروف ، ففي قوله تعالى: ("إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ..." (التوبة: ٩٣) يوصل إلى المعنى "بـ(على) و(إلى) فتقول: لا سبيل على فلان، ولا سبيل إلى فلان، غير أن وصولها بـ(على) يقتضي أحيانا ضَعْفَ المتوصَّل إليه، وقلّة منعته، فلذلك حسنت في هذه الآية، وليس ذلك في (إلى)، ألا ترى أنك تقول: فلان لا سبيل إلى الأمر، ولا إلى طاعة الله، ولا يحسن في شبه هذا (على)"[٨١]

ولذلك نجده في مواضع أخر يذكر الحرف وما جاء من الحروف الأخرى على معناه، أو يحكيه عن غيره دون مناقشة له أو ردّ، مما يدلّ على موافقته إيّاه، ومن ذلك موافقته المهدوي على أن "الباء بمعنى اللام"[٨٢] في قوله تعالى: ("ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ..." البقرة ٦١) وأنها "يحتمل أن تكون بمعنى (مع) [٨٣] في قوله تعالى:"وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ..." (البقرة: ٩٣)وأن (على) بمعنى (في) كما في قوله تعالى: "وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ..." (البقرة: ١٠٢) فيصير المعنى عندئذ "في ملك سليمان بمعنى: قصصه وصفاته وأخباره"[٨٤] كما أن (عن) في قوله تعالى: ("فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيس كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ..."(الكهف٥٠) يصحّ أن تكون بمعنى (بعد) لأن "(عن) قد تجيء بمعنى (بعد) في مواضع كثيرة، كقولك: أطعمتني عن جوع، ونحوه، فكان المعنى: فسق بعد أمر ربه بأن يطيع"[٨٥]، وكذلك تجيء (في) بمعنى (على) و(من) كما في قوله تعالى: ("أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ..." (الطور: ٣٨) أي: عليه ومنه، وهذه حروف يسدّ بعضها مسدّ بعض"[٨٦]،ولكنه عاد ورفض عند تفسيره قوله تعالى: "يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُم" (نوح :٤) أن تكون (من) بمعنى: (عن) لأن "هذا غير

معروف في أحكام (من)"[٨٧] وإن كان الهروي قد ذكر لـ(من) خمسة مواضع منها: أن تكون مكان (عن)، كقولك: لهيت من فلان، أي :عنه [٨٨]

التضمين في كلام شراح الحديث النبوي:

ورد التضمين في مواضع كثيرة في كلام شراح الحديث النبوي ولكننا نقتصر على إيراد ثلاثة مواضع فقط للاستشهاد على ورود التضمين في الحديث النبوي [٨٩] ففي حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنْ الصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ. قال الحافظ:" وَمَعْنَى أَبْرِدُوا أَخِّرُوا عَلَى سَبِيلِ التضمين أَيْ أَخِّرُوا الصَّلَاةَ "[٩٠]

- وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما مِنْ نبيّ مِن الأنبياء إلاّ أُعْطِي ما مِثْلُه آمَن عليه البَشَرُ)

رأى الطيبي أن في قوله (أعطي عليه) تضمينا [٩١] واحتج بعضهم على ترك القول بالتضمين في بعض المواضع فقال معقبا على اختيار الطيبي بقوله :"اختار الطيبيُّ التضمين. قلتُ: والحديثُ ليس بحُجَّةٍ عندي في باب اللغة، لِفُشُوّ الراويةِ بالمعنى، فلا حاجةَ إلى الجواب". [٩٢]

والحق جواز الاحتجاج لأن اختلاف الرواية وارد في عموم اللغة ، و لم يمنع ذلك من الاحتجاج ، فنظيره في الحديث النبوي ، بل هو أولى لأنه لم يُعن بشيء من النقل ما عني بالحديث النبوي من جهة تمحيص رواته والتفتيش عن أحوالهم وتوثيق الروايات وضبطها ، خلا ما كان من حفظ كتاب الله تعالى.

- وفي حديث جبريل في سؤاله عن الإيمان قال الحافظ ابن حجر:" وَقَالَ الطِّيبِيّ..:قَوْله:"أَنْ تُؤْمِن بِاَللَّهِ" مُضَمَّن مَعْنَى أَنْ تَعْتَرِف به ، وَلِهَذَا عَدَّاهُ بِالْبَاءِ ، أَيْ : أَنْ تُصَدِّق مُعْتَرِفًا بِكَذَا . قُلْت : وَالتَّصْدِيق أَيْضًا يُعَدَّى بِالْبَاءِ فَلَا يَحْتَاج إِلَى دَعْوَى التضمين ". [٩٣] قلت :وهذا صحيح لأن من معاني الإيمان التصديق والإقرار وكلاهما يعدى بالباء فلا يحتاج إلى التضمين.

وقال العيني "وقال بعضهم والتصديق أيضا يعدي بالباء فلا يحتاج إلى دعوى التضمين ،قلت[٩٤] الطيبي ادعى تضمين الإيمان معنى الاعتراف، وكون التصديق يتعدى بالباء لا يمنع دعوى تضمين الإيمان معنى الاعتراف حتى يقال لا يحتاج إلى دعوى التضمين [٩٥]

ولكن كلامه هذا يرد عليه بأن المحققين لمعنى الإيمان قد قرروا أن تعريف الإيمان بالتصديق هو مقتضى المعنى اللغوي للإيمان ، أما المعنى الشرعي ـــ وهو المعتبر بعد نزول القـــرآن ـــ فإنـــه يشـــمل الإقـــرار وهـــو يـــرادف الاعتـــراف المـــذكور بـــلا شـــك.[٩٦]

ظاهرة التضمين في الشعر العربي:

أورد اللغويون وغيرهم كثيرا من شواهد التضمين في الشعر العربي :

من ذلك ما ذكره الألوسي في كلامه على قوله تعالى:

" لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ " (الأنعام:١٢)

قال "قيل : إنه متعلق بالفعل و(إلى) بمعنى (في) كما في قوله:

لا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطليٌّ به القار أجرب

ومنع بعضهم مجيء إلى بمعنى (في) في كلامهم ، ولو صح ذلك لجاز: (زيد إلى الكوفة) بمعنى : (في الكوفة) وتأول البيت بتضمين (مضافاً) أو (مبغضاً) أو (مكرهاً) "[٩٧]

ومن ذلك ما جاء في حديثهم عن معاني الباء في قول علقمة:

فإن تسألوني، بالنساء، فإنني ... خبير، بأدواء النساء، طبيب

قيل هو " نحو " ويوم تشقق السماء بالغمام " أي: وعن أيمانهم. كذا قال الأخفش. قلت(أي : المصنف): أما كونها بمعنى عن بعد السؤال فهو منقول عن الكوفيين، وتأوله الشلوبين على أن الباء في ذلك سببية، أي: فاسأل بسببه. وقال بعضهم: هو من باب التضمين، أي: فاعتن به، أو فاهتم به".[٩٨]

كما استدل بقول الشاعر:

شربن بماء البحر، ثم ترفعت ... متى لجج، خضر، لهن نئيج

وبقول الآخر:

فلثمت فاها، آخذاً بقرونها ... شرب النزيف، ببرد ماء الحشرج

على التضمين. قال ابن مالك: والأجود تضمين شربن معنى: روين.[٩٩]

وقال ابن جني في الخصائص :

" قول الفرزدق:

كيف تراني قالياً بحي ... أضرب أمري ظهره للبطن

قد قتل الله زياداً عني

لما كان معنى قد قتله: قد صرفه، عداه بعن.

ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به؛ ولعه لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً؛ وقد عرفت طريقه. فإذا مر بك شيء منه فتقبله وأنس به؛ فإنه فصل من العربية لطيف، حسن يدعو إلى الأنس بها والفقاهة فيها."[١٠٠]

الترجيح بين الآراء:

إن نظرة سريعة إلى ما هو معروف من وظيفة كل من الاسم والفعل والحرف توقفنا على حقيقة الأمر في هذه القضية وتساعدنا كثيرا في حل إشكاليتها ،فمما هو شائع ومقرر لدى النحاة وعموم دارسي العربية أن الحرف ليس له معنى يستقل به في نفسه [١٠١]بخلاف كل من الاسم والفعل، فالحرفان (من) و(إلى) مثلا : في قولك (سافرت من مصر إلى أسوان) ليس لواحد منهما معنى يستقل به في نفسه كالفعل أو الاسم المذكورين في الجملة ، فلا معنى إذا لكل حرف من هذين الحرفين قبل إضافتهما إلى ما أضيفا إليه .

و"العربي في العصور الأولى إذا تجاوز في استعماله هذه الروابط فإن سبب عدوله من حرف إلى حرف هو السياق إذا ، وهو الذي وضع الفعل في معنى معيّن وخصصه به ، وعداه بحرف يناسبه ، فإبدال حرف مكان حرف ، أو قيام حرف مقام حرف ، وتضمين الحروف كثير الإيهام ولا حقيقة تحته"[١٠٢] ولذا ذهب أئمة اللغة كالإمام ابن جنيّ إلى عدم اطّراده فهو يبوب "باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض" [١٠٣]

"و النحاة حين يقولون : إنّ (إلى) بمعنى اللام ،والباء بمعنى (في) ، و(عن) بمعنى (على) ثم يردد المفسرون أو أكثرهم ، لم يسألوا عن سبب تناوب هذه الحروف ، و لم يتعرضوا للعلّة التي من أجلها جرى التعاور فليس التناوب في الحروف إلا أسلوباً من الهروب في مواجهة المشكلة ، وإن الفكر باعتماده على الهوية المجردة للحروف أو الأداة أو اللفظ دون ربطه بالنص وبواقع له زمان ومكان ، وبظروف اجتماعية وتاريخية ونفسية معينة ينتهي إلى تأملات مجردة". [١٠٤]

وننتهي من ذلك إلى أن القول بالنيابة في الحروف أو التضمين فيها قول غير سائغ ولا مطرد ؛ ومن ثم لا يمكن التعويل عليه ولا الأخذ به ، لأن القول باطراده يؤدي إلى نوع

من الفوضى اللغوية ، فلو ساغ ذلك "لجاز أن يقال: مررت في زيد، ودخلت من عمرو، وكتبت إلى القلم"[١٠٥] وهذا يؤول بلا شك إلى فوضى الاستخدام اللغوي وعبثيته.

ومن الأمثلة على اضطراب القول بنيابة حروف الجر بعضها عن بعض :

فعل (الهداية) في القرآن الكريم جاء متعديا بنفسه تارة، وباللام ثانية، وبـ(إلى) أخرى، حيث تعدى بنفسه في نحو قوله تعالى: ("اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" الفاتحة ٦) وتعدى باللام في نحو قوله تعالى:"الْحَمْدُ للهِ الذي هَدَانَا لِهَذَا..." الأعراف ٤٣)، وقوله تعالى: ("إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلتِي هِيَ أَقْوَمُ..." الإسراء ٩) وتعدّى بـ(إلى) في نحو قوله تعالى: "قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ "...الشورى ٥٢) ، فلا يسلم أن يقال هنا إن (إلى) بمعنى اللام، أو العكس، أو إن المتعدي بنفسه كما في آية الفاتحة إنما هو على إضمار حروف الجر.

ومعلوم أن: اهدنا الحق، تختلف دلالتها عن: اهدنا للحق، وهما يختلفان عن: تهدي إلى الحق، وعلى هذا فإن لكل حرف معناه الخاص به، بحيث لا ينوب حرف عن الآخر إلا على سبيل التسامح والتساهل لتقاربهما في الدلالة ، ولذلك كان ما نسب إلى البصريين – هنا– أكثر دقة مما نسب إلى الكوفيين، حيث لجؤوا إلى تضمين الفعل أو العامل دون المساس بقيمة الحرف المعنوية،ولذا قرروا أن "التجوّز في الفعل أسهل منه في الحرف"[١٠٦]، فضمّنوا الأفعال التي لا يعرف تعدّيها بحرف الجر المذكور معها معنى أفعال تتناسب مع هذا الحرف، وهذا المذهب نرى أنه هو الصحيح المتفق مع دلالات الكلام العربي ، وطبيعة هذه اللغة التي تتسم بالثراء والغنى الدلالي في معاني ألفاظها ؛ فلذا قبلنا مذهب التضمين في الأفعال والأسماء دون الحروف لاختلاف طبيعتها الدلالية وكونها لا استقلالية لها بمعنى في نفسها كبقية أنواع الكلم ، وإن كنا نسلم لابن جني قوله :

"لسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا[١٠٧]؛ لكنا نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع، على حسب الأحوال الداعية إليه، والمسوغة له، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا "[١٠٨]

وقد ذهب ابن عطية إلى أن الصواب أن "لا نقول إن حرفًا بمعنى حرف، بل نقول: إن المعنى يتوصل إليه بـ(في) وبالباء أيضا"[١٠٩]ولعل ابن عطية يحاول بذلك الخروج من الخلاف ، ولذلك استعمل هذا المصطلح في أكثر من موضع .[١١٠]

ومؤدى كلامه أن لكل حرف دلالته الوضعية الخاصة به ، وإن كانت العرب قد تتساهل فتضع الحرف مكان الحرف في بعض المواضع إذا تقاربت دلالتهما.

ومعنى ذلك أن الحرف يتأثر بالسياق شأنه في ذلك شأن بقية أنواع الكلم ؛ فإذا كانت الكلمة الواحدة تكون لها دلالة في موضع وتختلف تلك الدلالة في موضع آخر بتأثير السياق فإن الحرف يتأثر بالسياق أكثر من غيره من أنواع الكلم ، وذلك لأن الحرف ـــ كما هو معروف ـــ ليس له دلالة مستقلة في نفسه بل يكتسب دلالته من التركيب الذي يكون فيه ، ومن ثم فإن قرينة السياق هي التي تبين أن هذا الحرف قد استعمل في هذا السياق بمعنى حرف آخر يتقارب معه في دلالته ؛ولذا فإن استعماله في هذا الموضع إنما هو على سبيل التسامح والتساهل وليس على جهة التضمين ؛ ومن ثم فالسياق وحده هو الحاكم في القول بما يسمى بنيابة الحرف أو القول بتضمين الفعل وتحميله معنى فعل آخر ، ومن هنا تأتي قيمة البعد البلاغي ـــ الذي يحكم السياق ـــ في هذه الظاهرة .

فكما أن القول باطراد نيابة الحروف تعسف فكذلك القول باطراد التضمين في متعلق الحرف فعلا كان أو اسما ، وإن كنا نرى أن الغالب هو التضمين بشرط احتمال السياق له ، وأن نيابة الحرف لا تكون إلا بمثابة الضرورة أو التسامح لتقارب المعاني ، وإن كنا لا نمنع أن يضع الواضع حرفين مختلفين للدلالة على معنيين متقاربين فيحل أحدهما محل الآخر على جهة التساهل والتسامح كما وضع الواضع الأسماء والأفعال المترادفة سواء قلنا بتطابقها في المعاني أو تقاربها ، فنظير ذلك في الحروف سواء بسواء ، بل الحروف أولى بذلك كما بينا لعدم استقلالية دلالتها .

ومن الأدلة على ذلك ما مثل به النحاة من أمثلة صحيحة لاستعمال الحروف بعضها مكان بعض في بعض المواضع التي لا يسوغ فيها القول بالتضمين أو يكون القول بالتضمين فيها ضربا من التكلف يمجُّه السياق ويأباه .

فمن الأمثلة : ما ذكروه للباء من معنى "المجاوزة: وعبر بعضهم عن هذا بموافقة (عن). وذلك كثير بعد السؤال. نحو " فاسأل به خبيراً " ، و " سأل سائل بعذاب واقع " . وقال علقمة:

فإن تسألوني، بالنساء، فإنني ... خبير، بأدواء النساء، طبيب

وقليل بعد غيره، نحو " ويوم تشقق السماء بالغمام " أي: عن الغمام ، ونحو "يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم " أي :وعن أيمانهم. كذا قال الأخفش. قلت: أما كونها بمعنى عن بعد السؤال فهو منقول عن الكوفيين، وتأوله الشلوبين على أن الباء في ذلك سببية، أي: فاسأل بسببه. وقال بعضهم: هو من باب التضمين، أي: فاعتن به، أو فاهتم به."[١١١] والحق أننا نستشعر في القول بالتضمين في بعض هذه الأمثلة تكلفا واضحا يأباه الذوق والسياق .

والحق الذي يقال إن الأمر في ذلك مرجعه إلى الذوق والسياق ؛ ولذا فالاختلاف في مثل ذلك سائغ غير مستنكر وذلك لاختلاف الأذواق ولاحتمالية الدلالة السياقية وظنيتها إلى حد بعيد وذلك لتوفر الدواعي الكثيرة لذلك من حيث الدلالات المجازية أو الاختلاف في دلالة إحالات الكلام وغير ذلك .

القول بتقدير محذوف:

كذلك فإن الهروب من القول بالتضمين بتقدير محذوف مناسب قول غير مقبول[١١٢]؛لأنه يؤدي إلى ضرب من التكلف إن قبلناه في موضع قد لا نقبله في غيره ، كما أن اللغويين طالما فروا من تقدير محذوف ، ويقررون دائما أن ما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إلى تقدير ، والقول بالتضمين فيه توسيع لدلالة الكلمة ، ولا مانع من اعتبار ذلك ضربا من المجاز على نحو ما سبق أن رجحنا [١١٣]؛ وذلك لأن المجاز مبناه على التوسع ، وهذا بلا شك ضرب من التوسع .

وقد يلجأ إلى القول بتقدير محذوف في المواضع التي يذهب فيها إلى تقارب الحروف في المعاني ،ومن ثم مجيء بعضها موضع البعض ،وإن كان الأمر في ذلك لا يخلو من التكلف كذلك ، ففي قول علقمة السابق (فإن تسألوني بالنساءِ) لم تضمن (الباء) معنى (عن) ولا نقول إنها قد نابت عنها كذلك ، بل نرى أنهما قد اتفقتا في الدلالة الوضعية ، حيث صار بينهما اشتراك في هذا الموضع في أحد استعمالاتهما ، فالباء هنا بمعنى عن أو مقاربة لها في الاستعمال اللغوي ، وليست متضمنة معناها ذلك التضمين الذي يقتضي تركب الدلالة من كلا المعنيين ، إلا أن يُتأول بتقدير محذوف ، ويتكلف له ، فيقال : إن المعنى :(فإن تسألوني سؤال مختص بالنساء أو عليم بأمرهن).وهذا فيه من التكلف ما هو واضح لكل ذي ذوق .

مسألة : هل التضمين سماعيّ أو قياسي ؟

اختلف العلماء في انقياس التضمين مع ثبوته سماعا ، فمنهم من وقف عند ما ثبت بالسماع ، ومنهم من قال بقياسيته .

فذهب السيوطي إلى "أن التضمين لا ينقاس"[١١٤] وإليه ذهب ابن هشام أيضا [١١٥] وذهب أبو حيان إلى "أن التضمين لا ينقاس عند البصريين وإنما يذهب إليه عند الضرورة "[١١٦] أما ابن جنيّ (وهو من هو من اللغويين المتقدمين) فقد ذكر أمثلة للتضمين ثم قال :"فقس على هذا فإنك لن تعدم إصابة بإذن الله ورشدًا"[١١٧] وإذا كان القياس هو مذهب ابن جني من المتقدمين فقد انتهت إليه كذلك المجامع اللغوية الحديثة واختارته على غيره .

ففي قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي وافق عليه أكثر الأعضاء ذهب المجمع إلى أن "التضمين أن يؤدى فعل أو ما في معناه في التعبير مؤدى فعل آخر أو ما في معناه ، فيعطى حكمه في التعدية واللزوم ،ومجمع اللغة العربية يرى انه قياسيّ لا سماعيّ بشروط ثلاثة :

الأول :تحقق المناسبة بين الفعلين .

الثاني :وجود قرينة تدلّ على ملاحظة الفعل الآخر ، ويؤمن معها اللبس .

الثالث :ملاءمة التضمين للذوق العربي .

ويوصي المجمع ألا يُلجأ إلى التضمين إلا لغرض بلاغي ."[١١٨] وذهب المجمع الملكي إلى قياسيته بشروط ، هي شروط المجاز نفسه .[١١٩] وهذا الذي ذهب إليه ابن جنيّ واختاره العلماء المجمعيون المحدثون هو ما نميل إليه بشروطه وضوابطه التي يؤمن بها عدم الخروج عن الأساليب العربية الفصيحة إلى استخدامات رديئة ، وأبنية ركيكة.

قيمة التضمين :

يمكن أن نلخص قيمة التضمين في النقاط التالية :

١- **التوسع في المعنى .**

٢- **الاختصار والإيجاز.**

٣- **التمكن في التفسير.**

٤- **فقه العربية ومعرفة أسرارها.**

وذلك أن التضمين نوع من الاتساع في المعاني ، وهو كذلك ضرب من الإيجاز؛[١٢٠]وذلك لأنه يؤدي المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة ؛ وذلك لأن الفعل أو الاسم لا يعبر به عن معنى فعل أو اسم آخر، ولكنه يضمن فيه ،ويحمل عليه ، ويضاف إلى معناه ، فيدل اللفظ بالقرائن المحتفة به على معناه وآخر معه يدل عليه السياق والقرائن .

" فالغرض من التضمين إفراغ اللفظين إفراغاً ، حتى كأن أحدهما سبك في الآخر ، فالمعنى لا يأتيك مصرحاً بذكره ، مكشوفاً عن وجهه ، بل مدلولاً عليه بغيره . ".[١٢١]

وفائدته "أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين ، فالكلمتان مقصودتان معاً قصداً وتَبَعاً"[١٢٢]وقال ابن هشام :"وفائدة التضمين: أن يُدلّ بكلمة واحدة على معنى كلمتين "[١٢٣]ويقول الزمخشري :"فإن قلت :أي غرض في هذا التضمين؟ ... قلت الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين ،وذلك أقوى من إعطاء معنى فذّ"[١٢٤] إن نظرية "التضمين الدلالي" هذه ربما جعلتنا نعيد النظر في كثير من خلافات المفسرين حول بعض الآيات والنصوص النبوية ، وذلك من حيث تضييق دائرة الخلاف ، والتمكن من ترجيح بعض الأقوال على بعض ، أو تصحيح ما قد يتبادر إلى بعض أذهان المفسرين من المعاني الخاطئة .

فمن ذلك قوله تعالى: "فأماته الله مئة عام"(البقرة :٢٥٩)فإن المتبادر إلى الذهن انتصاب (مئة) بـ(أماته) وذلك ممتنع مع بقائه على معناه الوضعي ؛ لأن الإماتة سلب الحياة ، وهي لا تمتد ، والصواب أن يضمن (أماته) معنى (ألبثه) ، فكأنه قيل (فألبثه الله بالموت مئة عام) ،وحينئذ يتعلق به الظرف بما فيه من المعنى العارض له بالتضمين"[١٢٥]ومن ذلك ما ذكره ابن هشام أيضا في قوله تعالى :" لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ" (البقرة :٢٢٦)قال :"و لماخفي التضمين على بعضهم في الآية ، ورأى أنه لا يقال : حلفت من كذا ، بل حلفت عليه ، قال : (من) متعلقة بمعنى (للذين) كما تقول : لي منك مبرة ، وقال : وأما قول الفقهاء آلى من أمرأته فغلط أوقعهم فيه عدم فهم المتعلق في الآية"[١٢٦] وإذا كان التضمين استثمارا لطاقات اللغة وإمكاناتها الواسعة فإنه بذلك يفتح باب التفسير واسعًا لعلماء اللغة بضوابطه المعروفة ،والتفسير بمقتضى اللغة سائغ عند بعض الأصوليين والفقهاء ، قال في مختصر التحرير: "ويحرم تفسيره برأي واجتهاد بلا أصل ، لا بمقتضى اللغة" [١٢٧]أي إن التفسير بمقتضى اللغة سائغ لأهلها .

ونختم حديثنا عن قيمة التضمين بجملة لابن جنّي تجعل التضمين سرًّا من أسـرار العربيـة يدعو إلى الأنس بالعربية والفقاهة فيها فيقول عن التضمين : " فإذا مرّ بك شيء منه فتقبله وأنس به ؛ فإنه فصل من العربية لطيف حسن يدعو إلى الأنس بها والفقاهة فيها."[١٢٨]

ضوابط التطبيق :

١- لا تضمين في الحروف.

وذلك لأن الحرف لا يستقل بالمعنى على نحو ما سبق شرحه وبيانه من قبل .

٢- قد يشترك الحرف مع غيره في بعض دلالاته الوضعية فينوب عنه في بعض السياقات والمواضع .

ومن ثم فلا ينبغي أن يسمى ذلك تضمينًا ، كقولك : (كلُّ جنديٍّ وسلاحه) أو مع سلاحه .

ففي قوله تعالى:{فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً}" [الفرقان : ٥٩] قيل إن (الباء) بمعنى (عن)[١٢٩]

وفي تفسير القرطبي :

"قال الله تعالى: " فاسأل به خبيرا " (١) [الفرقان: ٥٩] أي سل عنه.

وقال علقمة:

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصيرٌ بأدواءِ النساءِ طبيبُ

أي عن النساء." [١٣٠]وكما قيل في أحد القولين كذلك في قوله تعالى:" وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ" (البقرة:١٤)

قيل معناه :"(خلوا مع شياطينهم)، إذ كانت حروف الصِّفات يُعاقِبُ بعضُها بعضًا (١) ، كما قال الله مخبرًا عن عيسى ابن مريم أنه قال للحواريين:(مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) [سورة الصف: ١٤]، يريد: مع الله. وكما توضع"على" في موضع"من"، و" في" و"عن" و"الباء"، كما قال الشاعر:

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ... لَعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا[١٣١] بمعنى عَنِّي."[١٣٢]

وكما ذكروا من معاني الباء "موافقة على. وذكروا لذلك أمثلة منها قوله تعالى " ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار " أي: على قنطار، كما قال " هل آمنكم عليه " . ومنها " وإذا مروا بهم " أي: عليهم، كما قال " وإنكم لتمرون عليهم " . ومنه قول الشاعر:

أرب يبول الثعلبان برأسه ... لقد هان من بالت، عليه، الثعالب"[١٣٣] وقد ذكر ابن جني مبحثا في ذلك في كتابه العظيم المنعوت بالخصائص فقال :

"ومما جاء من الحروف في موضع غيره .. "[١٣٤]

وضع حرف مكان حرف يشترك معه في بعض دلالاته الوضعية لا يحتاج إلى تعليل لأنه من باب التضمين.

ففي قول علقمة السابق (فإن تسألوني بالنساءِ) لم تضمن (الباء) معنى (عن) ولا نقول إنها قد نابت عنها كذلك ، بل نرى أنهما قد اتفقتا في الدلالة الوضعية ، حيث صار بينهما اشتراك في هذا الموضع في أحد استعمالاتهما ، فالباء هنا بمعنى عن أو مقاربة لها في الاستعمال اللغوي ، وليست متضمنة معناها ذلك التضمين الذي يقتضي تركب الدلالة من كلا المعنيين ، إلا أن يُتأول بتقدير محذوف ، ويتكلف له ، فيقال : إن المعنى :(فإن تسألوني سؤال مختص بالنساء أو عليم بأمرهن).وفيه من التكلف ما فيه.

٤- قد يتقارب الفعلان في المعنى ويكون لكل منهما حرف يخصه فيوضع أحدهما مكان الآخر (في غير الكلام المعجز) ومن ثم يبقى الحرف مع الفعل بمعناه المراد فلا ينبغي أن يعدَّ ذلك تضمينًا.

وفي ذلك يقول ابن جنيّ :"اعلم أن الفعل إذا كان في معنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدَّى بحرف والآخر بآخر ؛ فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانًا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه "[١٣٥]ويقول مستشهدا لذلك :" ألا ترى أنه لما كان رفث بالمرأة في معنى أفضى إليها جاز أن يتبع الرفث الحرف الذي بابه الإفضاء، وهو " إلى " . وكذلك لما كان هل لك في كذا بمعنى أدعوك إليه جاز أن يقال: هل لك إلى أن تزكى كما يقال أدعوك إلى أن تزكى"[١٣٦] لكننا رغم استشهادنا بكلامه هنا نرى أن بين الرفث والإفضاء فرقا ، وأن الرفث قد ضمن معنى الإفضاء للمعنى السابق بيانه ، وهو المجاوزة بالعلاقة الزوجية من عرام الجسد وشهوته إلى رحابة المشاعر الأسرية المحفوفة بظلال المودة والرحمة لتضيف إلى تلاقي الأجساد معنى تلاقي الأرواح كذلك .

وهذا المعنى قد سبق من أشار إليه ، ولكن ما أحب إضافته هنا هو سبب إيثار الآية للتعبير بفعل الرفث على فعل الإفضاء على ما في الثاني من رقة ولطف ، واكتفاء الآية بالإشارة إلى الإفضاء والإيحاء به من خلال الحرف الخاص به .

وفي رأيي أن تعليل ذلك يرجع إلى إيثار الآية الكريمة توضيح الحكم الشرعي بلفظ صريح لا يحتمل المجاز في إباحة المعاشرة الزوجية في ليل رمضان خاصة أن هذا الأمر قد كان محرما عليهم من ذي قبل وكان بعضهم يختان نفسه في ذلك بالوقوع في المخالفة فأراد الله تعالى أن يخفف عنهم وأن يرفع عنهم الحرج في ذلك ، وسياق الآيات يشير إليه :

" أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ "(البقرة (١٨٧))

ومما يستشهد به أيضا في هذا المقام :ما ذكره الألوسي في تفسير قوله تعالى :"سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ":

"{ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ } أي دعا داع به فالسؤال بمعنى الدعاء ولذا عدى بالباء تعديته بها في قوله تعالى : { يَدْعُونَ فِيهَا بِكلّ فاكهة } [الدخان : ٥٥] والمراد استدعاء العذاب وطلبه وليس من التضمين في شيء وقيل الفعل مضمن معنى الاهتمام والاعتناء أو هو مجاز عن ذلك فلذا عدى بالباء وقيل إن الباء زائدة وقيل إنها بمعنى (عن) كما في قوله تعالى : { فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً }" [الفرقان : ٥٩] (١٣٧) والشاهد في كلامه قوله "وليس من التضمين في شيء" وذلك لأنه يرى أن "السؤال بمعنى الدعاء ولذا عدى بالباء تعديته بها في قوله تعالى : { يَدْعُونَ فِيهَا بِكلّ فاكهة } [الدخان : ٥٥] والمراد استدعاء العذاب وطلبه"

فالألوسي ذهب إلى أن هذا المثال "ليس من التضمين في شيء" لأنه يرى أن ليس ثمة تضمين ، بل كل ما في الأمر أن الفعلين قد تقاربا في المعنى فوضع أحدهما مكان الآخر .ولعل هذا هو الرأي الذي يميل إليه في معنى الآية ؛ ولذا فقد بدأ به ، وإن كان لا يلغي ما في الآية من آراء أخر تحتمل التضمين وغيره.

والذي يعنينا ليس هو الترجيح بين تلك الآراء ، بل مجرد الاستشهاد بكلامه على ما ذهبنا إليه من انتفاء التضمين إذا استعمل الفعل بمعنى فعل آخر يتقارب معه .

غير أننا ـــ وإن استشهدنا بكلامه على صحة ما ذهبنا إليه ، ووافقناه على الجملة والعموم في هذه القاعدة ـــ فإننا لا نوافقه في تطبيقها في هذه الآية ، بل ولا في النصوص القرآنية على الجملة ، وذلك لأننا نذهب إلى مذهب انتفاء الترادف التام في القرآن الكريم ،أو تجويز العدول عن لفظ إلى آخر يقاربه بلا فائدة ، فهذا قد نسوغه في النصوص البشرية لعجز البشر وما هو لازم لهم من القصور والنقص ، و هو محال في النص المعجز بالاتفاق .[١٣٨] ومن ثم فإن القول بأن سأل بمعنى دعا دون تضمين قول غير مسلم ؛ لأنه يعترض عليه بالسؤال عن سر العدول عن الأول الذي لا يحتاج إلى تقدير إلى الثاني المحتاج للتقدير ، وهذا ما سوف نبينه في الضابط التالي .

٥- التضمين لا يلغي معنى الأصل ، ولا يستبدل به .

ففي قوله تعالى:{ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ } "يعني: وإذا انصرفوا وذهبوا وخلصوا إلى شياطينهم. فضمن { خَلَوْا } معنى انصرفوا؛ لتعديته بإلى، ليدل على الفعل (المضمن)[١٣٩] والفعل الملفوظ به".[١٤٠] وبنحوه قوله تعالى:"وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ" ((البقرة:٧٦))

فنلاحظ أن ابن كثير ـــ رحمه الله ـــ يعي حقيقة التضمين ـــ بصورة واضحة ـــ في دلالته على الفعل المضمن والفعل الملفوظ به ، وأن المقصود هو الجمع بين الدلالتين وليس مجرد استعمال فعل بمعنى فعل آخر.

فالمقصود إذا هو الجمع بين دلالتي الخلوة والانصراف عن المؤمنين إلى رؤسائهم في الكفر والتوجه إليهم بكليتهم وارتياحهم وركونهم إليهم .

وفي قوله تعالى:{ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ } قال ابن كثير :"فيه تضمين دل عليه حرف "الباء" ، كأنه مُقَدر: يستعجل سائل بعذاب واقع. كقوله: { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ } أي: وعذابه واقع لا محالة.

وقال ابن أبي نَجيح، عن مجاهد في قوله: تعالى { سَأَلَ سَائِلٌ } دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة، قال: وهو قولهم: { اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [الأنفال: ٣٢] .[١٤١] والمتأمل كلام ابن كثير هنا يدرك كيف أنه فطن لحقيقة التضمين فجمع في التقدير بين دلالة الفعل الأصلي والمعنى المضمن فيه فقال "كأنه مُقَدر: يستعجل سائل" فجمع بين دلالة السؤال

والاستعجال.فليس المقصود أن سأل هنا قد استعمل بمعنى استعجل لئلا تلغى دلالة السؤال والدعاء ـــ كما فسره مجاهد ـــ لأن النص على السؤال هنا فيه بيان لوسيلة الاستعجال وآلته .

ونلاحظ هنا دقة كلام ابن كثير في تعبيره عن التضمين مقارنا بغيره من المفسرين وعموم اللغويين حيث تجانبهم الدقة حينما يقولون : ضمن(سأل) معنى (دعا) أو أنها جاءت هنا بمعنى (دعا) ونحو ذلك .

قال القرطبي :"والسؤال بمعنى الدعاء ، أي دعا داع بعذاب، عن ابن عباس وغيره. يقال: دعا على فلان بالويل، ودعا عليه بالعذاب".[١٤٢] وقال الشوكاني في هذا الموضع :"وهو إما مضمن معنى الدعاء ، فلذلك عدّي بالباء ، كما تقول دعوت كذا ، والمعنى : دعا داع على نفسه بعذاب واقع ، ويجوز أن يكون على أصله ، والباء بمعنى عن كقوله : { فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً }" [الفرقان : ٥٩][١٤٣] فنلاحظ عدم الدقة بتفسير سأل بـ(دعا) مطلقا دون بيان الدلالة المركبة التي هي مقتضى التضمين ، ولذلك فقد اعترضنا على تفسير الألوسي السابق لهذا السبب نفسه ، وهو أنه لا يصح أن نلغي دلالة الفعل الأصلي .

ومن هنا تأتي قيمة البعد الأسلوبي في البحث من خلال السؤال الدائم عن سر العدول عن الفعل الأصلي .

ولذلك فقد التفت الطاهر بن عاشور إلى بلاغة القرآن في هذا الموضع في تعدية الفعل بالباء الذي يضمن الفعل ثلاث معان معا هي (سال ، دعا ، استعجل)

قال :"ومن بلاغة القرآن تعدية { سأل } بالباء ليصلح الفعل لمعنى الاستفهام والدعاء والاستعجال ، لأن الباء تأتي بمعنى (عن) وهو من معاني الباء الواقعة بعد فعل السؤال نحو { فاسأل به خبيراً } [الفرقان : ٥٩] ، وقول علقمة :

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... خبير بأدواء النساء طبيب

أي إن تسألوني عن النساء ، وقال الجوهري عن الأخفش : يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان . وجعل في «الكشاف» تعدية فعل سأل بالباء لتضمينه معنى عُني واهتمّ . وقد علمت احتمال أن يكون سال بمعنى استعجل ، فتكون تعديته بالباء كما في قوله تعالى : { ويستعجلونك بالعذاب } [الحج : ٤٧] وقوله : { يستعجل بها الذين لا يؤمنون

بها } [الشورى : ١٨] .[١٤٤] وكذلك في قوله تعالى "ونصرناه من القوم " ضمن الفعل نصر معنى (نجّى) وهذا لا يعني إلغاء دلالة الفعل (نصر) ، بل المعنى مركب منهما جميعا ، فالمقصود نصرناه بإنجائه وتخليصه من القوم ، ولا غنى عن أحد المعنيين (الأصلي والمضمن) فالمقصود الدلالة على حصول التنجية ، وأن هذه التنجية كانت نصرا من الله لنبيه على هؤلاء القوم الظالمين .

٦- الحرف قرينة مهمة في الدلالة على المعنى المضمن .

ففي المثال السابق جاء المعنى المركب بمعونة قرينة الحرف (من)

قال ابن كمال باشا: "التضمين أن يقصد بلفظ معناه الحقيقي ، ومعنى لفظ آخر يناسبه ، ويُدَلُّ عليه بذكر شيء من متعلقات الآخر ، كقولك أحمد إليك فلانا ، فإنك لاحظت فيه معنى الحمد مع معنى الانتهاء ، ودللت عليه بذكر صلته ،أعني كلمة(إلى)" .[١٤٥] فبين أن الحرف قرينة مهمة في الدلالة على المعنى المضمن .

٧- تقدير المعنى المضمن مقيد بدلالة السياق والقرائن المحتفة به .

ففي المثال السابق جاء المعنى المقدر مناسبا لسياق القصة ، فلا يجوز تقدير معنى خارج عن مناسبة السياق ، وإن كان متفقا مع الدلالة الوضعية للحرف كالفعل (أخرج) مثلا ، فلا يقال إن المعنى المضمن (أخرجناه من القوم) أو (أخذناه من القوم) أو نحو ذلك مما يتفق مع دلالة الحرف وحده دون السياق .

٨- التضمين نتاج العامل والحرف كليهما .

فالمقصود أن المعنى المضمن لا يمكن أن يستفاد من العامل وحده ، فلولا الحرف (من) في المثال السابق ما كنا لنقف على معنى التنجية الذي تضمنه الفعل (نصر) .

٩- لا بد من التعليل للاختيار في العامل والعدول في الحرف للوقوف على سر المعنى ومناسبته .

وهذا مترتب على ما قبله ؛ فإذا كان التضمين نتاج العامل والحرف كليهما فلا بد من التعليل للاختيار في الأول والعدول في الثاني ، ومن هنا تأتي قيمة الدراسة الأسلوبية لهذا الأسلوب.

١٠- ارتكاب التضمين خلاف الأصل .

وهذا الضابط قد نص عليه الألوسي في كلامه على قوله تعالى:

"قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (الأنعام:١٢)

حيث قال في قوله تعالى :(لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)الجار والمجرور قيل متعلق بمحذوف أي ليجمعنكم في القبور مبعوثين إلى يوم الخ على أن البعث بمعنى الإرسال وهو مما يتعدى بإلى ولا يحتاج إلى ارتكاب التضمين ، واعترض بأن البعث يكون إلى المكان لا إلى الزمان إلا أن يراد بيوم القيامة واقعتها في موقعها؛ وقيل : هو متعلق بالفعل المذكور ، والمراد جمع فيه معنى السوق والاضطرار كأنه قيل ليبعثنكم ويسوقنكم ويضطرنكم إلى يوم القيامة أي إلى حسابه ، وقيل : إنه متعلق بالفعل وإلى بمعنى في كما في قوله:

لا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي به القار أجرب

ومنع بعضهم مجيء إلى بمعنى في في كلامهم ولو صح ذلك لجاز زيد إلى الكوفة بمعنى في الكوفة وتأول البيت بتضمين مضافاً أو مبغضاً أو مكرهاً ، وأجيب بأن ذلك إنما يرد إذا قيل : إن استعمال إلى بمعنى في قياس مطرد ولعل القائل بالاستعمال لا يقول بما ذكر ، وارتكاب التضمين خلاف الأصل ، وارتكاب القول بأن إلى بمعنى في وإن لم يكن مطرداً أهون منه ، وقيل : إنها بمعنى اللام ، وقيل : زائدة والخطاب للكافرين كما هو الظاهر من السياق ، وقيل : عام لهم وللمؤمنين بعد أن كان خاصاً بالكافرين أي ليجمعنكم أيها الناس إلى يوم القيامة "[١٤٦] والشاهد في كلامه قوله: "وارتكاب التضمين خلاف الأصل" ونحن نوافقه في هذا الضابط ، ولكننا ننبه على أن هذا القول لا يعني تضعيف القول بالتضمين أو العمل به ، بل هو مشابه لقولهم : (حمل الكلام على المجاز خلاف الأصل فلا يحمل عليه إلا بقرينة) ، وكذلك نقول هنا :

(إن التضمين خلاف الأصل فلا يحمل عليه الكلام إلا بقرينة تدل عليه)

لكننا نرى أن تطبيقه ذلك الضابط على قوله تعالى: (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) أمر فيه نظر، لأنه لما رفض التضمين اضطر أن يؤول الجمع بمعنى السوق والاضطرار، فقال:"والمراد جمع فيه معنى السوق والاضطرار كأنه قيل ليبعثنكم ويسوقنكم ويضطرنكم إلى يوم القيامة أي إلى حسابه"[١٤٧] ومن ثم نقول ما المانع أن نقول إنه تعالى ضمن الجمع معنى السوق والاضطرار والبعث ، خاصة وقد تقرر أن التضمين يجمع بين الأصل وما ضمن من المعاني.

والعجيب أن الألوسي قد جوز التضمين في هذه الآية في موضع آخر فقال: "والجمع بمعنى الحشر ، ولهذا عدي بإلى كما عدي الحشر بها في قوله تعالى : { لإِلَى اللهِ تُحْشَـرُونَ } [آل عمران : ١٥٨] ، وقد يقال : إنما عدي بها لتضمينه معنى الإفضاء المتعدي بها أي ليحشرنكم من قبوركم إلى حساب يوم القيامة ، أو مفضين إليه ، وقيل : إلى بمعنى في كما أثبته أهل العربية أي ليجمعنكم في ذلك اليوم[١٤٨] ويمكن أن نستشهد لهذا الضابط بموضع آخر من كلام الألوسي وذلك في قوله تعالى:

"ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ" (يوسف:٤٩)

حيث قال :

"وفي « الصحاح » عصر القوم أي أمطروا ، ومنه قراءة بعضهم { وفيه يعصرون } وظاهره أن اللفظ موضوع لذلك فلا يحتاج إلى التضمين عليه ".[١٤٩] وماذكره صحيح ـــ بلا شك ـــ على القول بأن معنى (يعصرون)(يمطرون).

ويشهد لذلك أيضا قول الحافظ ابن حجر في شرح حديث جبريل في سؤال عن الإيمان :" وَقَالَ الطِّيبِيّ ...:قَوْله:"أَنْ تُؤْمِن بِاَللَّه" مُضَمَّن مَعْنَى أَنْ تَعْتَرِف به ، وَلِهَذَا عَدَّاهُ بِالْبَاءِ ، أَيْ : أَنْ تُصَدِّق مُعْتَرِفًا بِكَذَا . قُلْت : وَالتَّصْدِيق أَيْضًا يُعَدَّى بِالْبَاءِ فَلَا يَحْتَاج إِلَى دَعْوَى التضمين ".[١٥٠] قلت :وهذا صحيح لأن من معاني الإيمان التصديق والإقرار وكلاهما يعدى بالباء فلا يحتاج إلى التضمين.

وقال العيني "وقال بعضهم والتصديق أيضا يعدي بالباء فلا يحتاج إلى دعوى التضمين قلت الطيبي ادعى تضمين الإيمان معنى الاعتراف وكون التصديق يتعدى بالباء لا يمنع دعوى تضمين الإيمان معنى الاعتراف حتى يقال لا يحتاج إلى دعوى التضمين [١٥١] ولكن كلامه هذا يرد عليه بأن المحققين لمعنى الإيمان قد قرروا أن تعريف الإيمان بالتصديق هو مقتضى المعنى اللغوي للإيمان ، أما المعنى الشرعي ـــ وهو المعتبر بعد نزول القرآن ـــ فإنه يشمل الإقرار وهو يرادف الاعتراف المذكور بلا شك .[١٥٢]

النماذج التطبيقية للتضمين

وقفنا فيما سبق أمام العديد من الأمثلة القرآنية والحديثية التي استشهدنا بها أو التي استشهد بها اللغويون أو المفسرون والمحدثون في حديثنا عن موقف كلٍّ من ظاهرة التضمين.[١٥٣]

ومن الأمثلة غير ما ذكرنا :

التضمين في الأفعال :

قوله تعالى : (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(النور :٦٣)

قال الشوكاني :"عديّ فعل المخالفة بـ(عن) مع كونه متعدّياً بنفسه لتضمينه معنى الإعراض ، أو الصدّ " [١٥٤] وبيَّن البيضاوي سبب التعدية بـ"{ عَنْ } لتضمنه معنى الإعراض أو يصدون عن أمره دون المؤمنين من خالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه ، وحذف المفعول لأن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى ، فإن الأمر له في الحقيقة أو للرسول فإنه المقصود بالذكر "[١٥٥] فالفعل (يخالفون) يتعدى بنفسه وبـ إلى ، وحين عدي بـ(عن) تضمن معنى (يحيدون) أو (يصدُّون) أو (يعرضون) . والتعبير بلفظ (يتسللون) يصور ما هم فيه من الجبن عن المواجهة ، وتعمد المخالفة والتكلف لها . والفعل (خالف) تضمن معنى (حاد) ليبين ترتب العقوبة على مجرد الحيد عن أمر الله ورسوله ، وإن لم يمثل مخالفة صريحة ، فمجرد الحيدان عن أمر الله ورسوله يستوجب العذاب الأليم ، والتحذير الشديد من الله أن تصيبهم فتنة في الدين أو الدنيا ، التحذير لا لمن خالف وإنما لمن حاد عنها ، والحيدان أدنى درجات المخالفة عن المنهج الرباني .

ولكن لا بد هنا من الوقوف للتعليل كذلك عن سر العدول عن الفعل (يحيدون) إلى الفعل (يخالفون) ؟

لم جاء التعبير بالمخالفة إذا ؟

إن الناظر للسياقات اللغوية التي يستخدم فيها التعبير بالفعل حاد نلمح من خلالها أن الحيدان هو الانحراف أو الانزياح عن عن الجادة سواء كان ذلك بقصد أم بغير قصد فقد يقع سهواً أوعن غفلة بغير عمد ، وأما المخالفة فإنها تصدر عن تصميم وقصد وعدم مبالاة بالأوامر شأن المنافقين الذين يتعمدون المخالفة ويتكلفون لها فيتسللون ويذهبون بغير إذن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ متعدين بذلك على الحقوق والآداب الواجبة لقائد الجماعة المسلمة وإمامها الذي ينبغي الحفاظ على مقامه وهيبته .

وكذلك قوله تعالى :(وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) (الفتح:٢٤) الأصل أن يقال : (ظفر بـه)

وليس (ظفر عليه) لكن تعدية الفعل أظفر بحرف (على) جاء هنا للدلالة على حصول الاستعلاء بالنصر والتمكن من رقابهم.

وذهب الطاهر بن عاشور إلى أنه "عُدي { أظفركم } بـ(على) لتضمينه معنى أيّدكُم وإلا فحقه أن يعدى بالباء ".[١٥٦] وكذلك قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) عدّى فعل تأكلوا بالحرف إلى ليدلّ على معنى لا تجمعوها وتضموها إلى أموالكم آكلين لها بمعنى الاستحواذ والجمع.

"قال أبو جعفر: يعني بذلك تعالى ذكره: ولا تخلطوا أموالهم -يعني: أموال اليتامى بأموالكم- فتأكلوها مع أموالكم، كما: حدثنا ابن بشار قال، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله:"ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم"، يقول: لا تأكلوا أموالكم وأموالهم، تخلطوها فتأكلوها جميعًا". [١٥٧] وقال الألوسي:"والمراد من الأكل.. مطلق الانتفاع والتصرف ، وعبر بذلك عنه لأنه أغلب أحواله ، والمعنى لا تأكلوا أموالهم مضمومة إلى أموالكم أي تنفقوهما معاً ولا تسووا بينهما ، وهذا حلال وذاك حرام ، فإلى متعلقة بمقدر يتعدى بها ، وقد وقع حالاً ، وقدره أبو البقاء مضافة ، ويجوز تعلقها بالأكل على تضمينه معنى الضم "[١٥٨]فالمراد إذا تضمين الأكل معنى الضم ،أي : لا تضموها إلى أموالكم على جهة الأكل والذهاب بها أو الإضرار بها بأي طريق كان ، فلا يشمل ذلك ضمها لتنميتها أو رعايتها وتثميرها لصالح اليتيم .

التضمين في قوله تعالى : { وبالوالدين إحسانا }

وقوله : «وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن»

قال الطاهر بن عاشور :"وقوله : { وبالوالدين إحسانا } اهتمام بشأن الوالدين إذ جعل الأمر بالإحسان إليهما عقب الأمر بالعبادة ، كقوله : { أن اشكر لي ولوالديك } [لقمان : ١٤] ، وقوله : { يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه } [لقمان : ١٣ ، ١٤] ، ولذا قدّم معمول (إحساناً) عليه تقديماً للاهتمام إذ لا معنى للحصر هنا لأنّ الإحسان مكتوب على كلّ شيء ، ووقع المصدر موقع الفعل . وإنّما عدّي الإحسان بالباء لتضمينه معنى البرّ . وشاعت تعديته بالباء في القرآن في مثل

هذا . وعندي أنّ الإحسان إنّما يعدّى بالباء إذا أريد به الإحسان المتعلّق بمعاملة الذات وتوقيرها وإكرامها ، وهو معنى البرّ ولذلك جاء «وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن»؛ وإذا أريد به إيصال النفع المالي عُديّ بإلى ، تقول : أحْسَنَ إلى فلان ، إذا وصله بمال ونحوه ."[١٥٩] وألطف من ذلك ما ذهب إليه أبو السعود حيث قال:" المشهورُ استعمالُ الإحسان بإلى ، وقد يستعمل بالباء أيضاً كما في قوله عز اسمُه : { وبالوالدين إحسانا } وقيل : هذا بتضمين لَطَف وهو الإحسانُ الخفيُّ كما يؤذن به قوله تعالى : { إِنَّ رَبّى لَطِيفٌ لّمَا يَشَاء } وفيه فائدة لا تخفى أي لطَف بي محسناً إليَّ غيرَ هذا الإحسان { إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السجن } بعدما ابتُليت به ولم يصرِّح بقصة الجُبّ حذاراً من تثريب إخوته لأن الظاهرَ حضورُهم لوقوع الكلام عَقيب خرورهم سجّداً واكتفاءً بما يتضمنه قوله تعالى : { وَجَاء بِكُمْ مّنَ البدو } أي البادية { مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشيطان بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِى } أي أفسد بيننا بالإغواء ..ولقد بالغ عليه الصلاة والسلام في الإحسان حيث أسند ذلك إلى الشيطان { إِنَّ رَبّى لَطِيفٌ لّمَا يَشَاء } أي لطيفُ التدبير لأجله رفيقٌ حتى يجيء على وجه الحِكمة والصواب ، ما من صعبٍ إلا وهو بالنسبة إلى تدبيره سهلٌ { إِنَّهُ هُوَ العليم } بوجود المصالح { الحكيم } الذي يفعل كلّ شيء على قضية الحكمة ."[١٦٠] فضمن (أحسن بي) :(لطف بي) وهو معنى لطيف ، خاصة مع بيان استنباطه من قوله تعالى : { إِنَّ رَبّى لَطِيفٌ لّمَا يَشَاء }ففيه مشاكلة للفظ المذكور وحسن مناسبة له .

قال الألوسي : في قوله تعالى:"وَقَدْ أَحْسَنَ بِي":

"{ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ الله إِلَيْكَ } [القصص : ٧٧] بالباء كقوله تعالى : { وبالوالدين إحسانا } [البقرة : ٨٣] وكقول كثير عزة

اسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ... لدينا ولا مقلية إن تقلت

وحمله بعضهم على تضمين { أَحْسَنُ } معنى لطف ولا يخفى ما فيه من اللطف إلا أن بعضهم أنكر تعدية لطف بالباء وزعم أنه لا يتعدى إلا باللام فيقال : لطف الله تعالى له أي أوصل إليه مراده بلطف وهذا ما في القاموس لكن المعروف في الاستعمال تعديه بالباء وبه صرح في الأساس وعليه المعول. [١٦١] ومن ذلك قوله تعالى :"ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ

مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" (الأعراف:١٠٣)

قال الألوسي:" { وَمَلَإِيهِ فَظَلَمُواْ بِهَا } أي بالآيات ، وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه وهو يتعدى بنفسه لا بالباء إلا أنه لما كان هو والكفر من واد واحد عدى تعديته أو هو بمعنى الكفر مجازاً أو تضميناً أو هو مضمن معنى التكذيب أي ظلموا كافرين بها أو مكذبين بها ، وقول بعضهم : إن المعنى كفروا بها مكان الإيمان الذي هو من حقها لوضوحها ظاهر في التضمين كأنه قيل كفروا بها واضعين الكفر في غير موضعه حيث كان اللائق بهم الإيمان .[١٦٢] فنلاحظ أن كلامه يستقيم مع المفهوم الصحيح للتضمين الذي يعني الجمع بين الكلمة الأصل والمعنى الضمن فيها ، ويتضح ذلك جليا من قوله : " هو مضمن معنى التكذيب أي ظلموا كافرين بها أو مكذبين بها"

فجمع بين (ظلموا) المنصوص عليه وبين المعنى المضمن فيه وهو (كافرين بها ،أو مكذبين بها) ؛ لأن المقصود أنهم كفروا وجحدوا ظالمين ، فجمع عليهم بطريق التضمين بين الظلم والكفر.

ومن الأمثلة أيضا:

قوله تعالى:" وما يفعلوا من خير فلن يكفروه " (آل عمران :١١٧)ضُمِّن معنى يُحرموه :[١٦٣] والعلة في ذلك الجمع بين المعنيين : أنهم سيؤجرون ويشكرون فالأول : مقتضى(لن يحرموه) والثاني : مقتضى (لن يكفروه).

والدال على التضمين هنا : ترك تعدية الفعل .

ومن الأمثلة كذلك :قوله تعالى (عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً {٦})

"{ يشرب بها } : أي يشربها أو منها ، أو ضمن يشرب معنى يروى بها أقوال ."[١٦٤] فالأصل أن يقال يشرب منها. قيل في الآية: تضمين بمعنى يرتوي بها (يشرب بمعنى يروى أو يشرب إلى أن يروى) وهذا هو القول الشائع عند المفسرين؛ لأنه لو أراد غير هذا المعنى لحدده كما قال في آية أخرى (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً {٥}). ففي هذه الآية عدّى فعل يشرب بالباء ليحتمل معنى يرتوي وهناك إحتمال آخر أنهم نازلون بها كما يقال نزلنا في المكان وشربنا به فتصير إذن ظرفية. إذن تحتمل التعدية بالباء

لفعل يشربون أن تكون بمعنى الشرب حتى الإرتواء ومعنى التمتع بلذّة النظر إلى العين والإستقرار عندها وهذه متعة أخرى.

وفي قوله تعالى " إذا اكتالوا على الناس يستوفون "...البصريون يذهبون في هذا إلى التضمين، أي: إذا حكموا على الناس في الكيل.[١٦٥] يقال اكتال من ولا يقال اكتال على. وقد عدّى فعل اكتال في هذه الآية بحرف على للدلالة على التسلط لأن هؤلاء المطففين لم يكتالوا من الناس بل تسلطوا عليهم بالاكتيال.

وفي قوله تعالى (وإذا كالوهم أو وزنوهم) حذف لام الاستحقاق فقال كالوهم لأن هؤلاء المطففين لم يعطوا الناس حقوقهم فعدّى الفعل اكتال بالحرف على للدلالة على الظلم والتسلط.

التضمين في الأسماء:

كما يكون التضمين في الأفعال يكون في الأسماء أيضا نحو قوله تعالى:

"فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" (آل عمران :٥٢)فقد ضمن النصرة معنى الولاء أو التوجه أو القصد . [١٦٦] قال الحافظ ابن كثير: "{ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ } قال مجاهد : أي من يَتبعني إلى الله؟ وقال سفيان الثوري وغيره: من أنصاري مع الله؟ وقول مجاهد أقربُ. [١٦٧] وقال الألوسي:"{مَنْ أنصارى إِلَى الله } أي من جندي متوجهاً إلى نصرة الله تعالى ليطابق قوله سبحانه : { قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْن أَنْصَارُ الله } " [١٦٨] وعليه فالتقدير إذا تضمين النصرة معنى التوجه والقصد والتبعية ونحو ذلك مما يحتمله السياق ،فيجتمع بذلك معنييان :

الأول : أن يكونوا أنصارا لنبيهم إلى الله.

الثاني : أن يكونوا تابعين لنبيهم في نصرتهم لله .

أو يكونوا متوجهين إلى الله قاصدين إليه ، وهذا يقتضي صدق الإخلاص واللجوء إلى الله تعالى.

وقال صاحب الجنى الداني:"وكون إلى بمعنى مع حكاه ابن عصفور، عن الكوفيين. وحكاه ابن هشام عنهم، وعن كثير من البصريين. وتأويل بعضهم ما ورد، من ذلك، على تضمين

العامل، وإبقاء إلى على أصلها والمعنى في قوله تعالى " من أنصاري إلى الله " : من يضيف نصرته إلى نصرة الله. وإلى في هذا أبلغ من مع، لأنك لو قلت: من ينصرني مع فلان، لم يدل على أن فلاناً وحده ينصرك، ولا بد، بخلاف إلى، فإن نصرة ما دخلت عليه محققة واقعة، مجزوم بها. إذ المعنى على التضمين: من يضيف نصرته إلى نصرة فلان." [١٦٩]

ومن ذلك قوله تعالى : { لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ }

قال الإمام ابن تيمية :

"الْعَرَبُ تُضَمِّنُ الْفِعْلَ مَعْنَى الْفِعْلِ وَتُعَدِّيهِ تَعْدِيَتَهُ وَمِنْ هُنَا غَلِطَ مَنْ جَعَلَ بَعْضَ الْحُرُوفِ تَقُومُ مَقَامَ بَعْضٍ كَمَا يَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ : { لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ } أَيْ مَعَ نِعَاجِهِ و { مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ } أَيْ مَعَ اللَّهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ وَالتَّحْقِيقُ مَا قَالَهُ نُحَاةُ الْبَصْرَةِ مِنْ التَّضْمِينِ فَسُؤَالُ النَّعْجَةِ يَتَضَمَّنُ جَمْعَهَا وَضَمَّهَا إِلَى نِعَاجِهِ"[١٧٠] فذهب إلى تضمين السؤال معنى الضم والجمع ، فالمقصود أنه سأله ضم نعجته إلى نعاجه ، فأفاد التضمين جمع معنى الاسمين معا .

ومنه ـــ أي التضمين في الأسماء ـــ صيغ المبالغة :

وذلك كما في قوله تعالى شأنه : { سماعون للكذب سماعون لِقَوْمٍ ءاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ }[١٧١]

ومنه ـــ أي التضمين في الأسماء ـــ التضمين في المصادر :

قوله تعالى﴿ **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً**﴾ (المزمل: ٨) حيث عدل عن المصدر (تبتلا) إلى (تبتيلا) وقد جرى معظم المفسرين الذين تعرضوا لبيان سر العدول فى هذا الموضع على تعليله برعاية الفواصل[١٧٢].

قال الزمخشرى (فإن قلت: كيف قيل(تبتيلا) مكان (تبتلا) ، قلت لأن معنى تبتل: بتل نفسك فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل[١٧٣].

فالزمخشرى - وتبعه فى ذلك الألوسى - جعل (تبتل) هنا بمعنى بتل، ولكن هذا يثير سؤالا آخر وهو لماذا عدلت الآية إذا عن بتل إلى (تبتل) ؟ والأقرب من هذا وهو الأصوب أن نقول: لماذا عدلت الآية عن (التبتل) إلى (التبتيل)؟ وهل السر فى هذا العدول هو مجرد رعاية الفاصلة؟

قال الألوسى:" (تبتيلا) ونصبه(تبتل) لتضمنه بتل على ما قيل"[١٧٤] والسر فى هذا العدول عندى والله تعالى أعلم هو تضمين المصدر تبتيلا معنى(التبتل) أيضا، وذلك كما يضمن الفعل معنى فعل آخر عن طريق تعديته بغير الحرف الذى يعدى به، وذلك على نحو قوله تعالى ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ (الأنبياء:٧٧) أى نجيناه من القوم، حيث أراد أن يبين سبحانه أن هذا النصر لم يكن بالغلبة وإنما كان بالتنجية من أذى قومه، فعداه بـ (من) وكان حقه أن يعدى بـ(على) وذلك ليضمنه معنى نجيناه أى ونجيناه وخلصناه منتصرا من القوم"[١٧٥]

والتضمين فى الأفعال معروف ومشهور، وبنحوه التضمين فى المصادر كما فى هذا الموضع وكما فى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً﴾ (نوح:١٧)[١٧٦]،

والمقصد أن نبين أن الله تعالى فى هذا الموضع قد ضمن الفعل (تبتل) معنى (بتل)، وضمن المصدر (تبتيلا) معنى (تبتلا)، وكأن المقصود من المخالفة بين الفعل ومصدره هى الإفادة بكلا المعنيين اللذين اشتمل عليهما كل من الفعل والمصدر.

فالفعل (تبتل) على صيغة (تفعل) ، و(تفعل) تأتى لمعان منها التكلف، كتصبر وتحلم: تكلف الصبر والحلم[١٧٧] ومن ثم نرى أنه قد أتى بالتبتل وهو على وزن التفعل الدال على التكلف والمحاولة كما فى قول النبى ﷺ إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم.. الخ فأتى بالتبتل فى الأمر ليتضمن معنى التكلف والتحمل، والتصبر على المشاق مخالف لمألوف النفوس، وذلك لأن النفس لم تتعود العزلة والانقطاع ففى هذا الأمر مشقة عليها تحتاج إلى تكلف ومجاهدة ومحاولة حتى تعتاده النفس ويسهل عليها.

وأتى فى المصدر" بتبتيلا" وهو على وزن" تفعيل" الدال على التكثير[١٧٨] ليدل على أن المراد هو الإكثار من هذا التبتل والانقطاع، وذلك لحاجة الداعى إليه فى أول الطريق حتى ينال نصيبه من زكاة النفس، ومجاهدتها، وجمعها على محبوبها وفاطرها استغناء به عمن سواه، وتوكلا عليه دون غيره. وبهذا يتضمن الأمر معنى المحاولة والمجاهدة مع الإكثار من التبتل المطلوب للداعى ليكون زادا له فى دعوته للناس.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن من معانى(تفعل)" مطاوعة" فعل"مضعف العين، كنبهته فتنبه، وكسرته فتكسر"[١٧٩] فإنه يزداد إدراكنا لذلك الإعجاز القرآنى فى ذلك العدول فى الصيغة فى هذا الموضع، حيث نقف على سر آخر للعدول، وهو أن السبب فى إيثار (تبتّل) على (بتّل) أن (تبتّل) مطاوع (بتّل) حيث يقال (بتله فتبتل) فحينما عدلت الآية عن مصدر تبتل إلى مصدر بتل فإنها ضمنت الفعل تبتل معنى(بتل) وهذا يشعر أن هذا التبتل قد حدث بعد كثرة تبتيل للنفس، حيث قال الرازى:" الواجب أن يقال: (وتبتل إليه تبتلا)

أو يقال: (بتِّل نفسك إليه تبتيلا) لكنه تعالى لم يذكرهما واختار هذه العبارة الدقيقة وهي أن المقصود بالذات إنما هو التبتل فأما التبتيل فهو تصرف ،والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلاً إلى الله لأن المشتغل بغير الله لا يكون منقطعاً إلى الله ، إلا أنه لا بد أولاً من التبتيل حتى يحصل التبتل كما قال تعالى : { والذين جاهدوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت : ٦٩] فذكر التبتل أولاً إشعاراً بأنه المقصود بالذات ، وذكر التبتيل ثانياً إشعاراً بأنه لا بد منه ولكنه مقصود بالغرض[١٨٠].

فحاصل كلام الرازى وحقيقته الانقطاع إلى الله تعالى عما سواه. ومن ثم فحاصل الوجه الأول الذى ذكرناه آنفا أن التبتل يأتى أولا لاشتماله على التكلف والمحاولة، وحاصل الوجه الذى وجهنا به كلام الرازى أن التبتيل يأتى أولا لتوقف حصول التبتل عليه والذى أراه والله تعالى أعلم أن يكون التفعل بذلك من الأضداد حيث يدل على ابتداء، الشيء ومنتهاه، فحيث ينظر فيه إلى معنى التكلف والمحاولة فهو الابتداء، وحيث ينظر فيه إلى مطاوعة (فعل) فهو الانتهاء فهو حينئذ نتيجة لحدث سابق (بتَّل نفسه فتبتلت) ومن ثم فلا تعارض فالسالك إلى الله تعالى مأمور فى بادىء أمره بالتبتل بمعنى التكلف والمحاولة ولكى يصل إلى التبتل بمعنى النتيجة ومطاوعة النفس له على التبتل والانقطاع إلى الله.

ومن ثم يكون فائدة العدول هنا تضمين كل من الفعل والمصدر أحدهما معنى الآخر، ومن ثم يكون كلا الأمرين مطلوبين للسالك إلى الله فلا غنى له عن تكلف التبتل ومحاولته ليحمل نفسه عليه لثقله عليها أول أمره، ولا بد من إكثار التبتل ومحاولته حتى تعتاده النفس وتطاوع له.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً﴾ (نوح: ١٧) حيث عدلت الآية عن المصدر (إنباتا) إلى (نباتا)، وقد علل أغلب المفسرين للاختيار فى (أنبتكم) أنه ضمنه معنى الإنشاء[١٨١] وكان الأولى أن يبينوا سر العدول فى اسم المصدر (نباتا) إلا أنهم اكتفوا بتوجيهه بقولهم (والمعنى: أنبتكم فنبتم نباتا)[١٨٢].

أما الرازى فقد كان أطول عنقا فى رمق سر هذا العدول حيث قال: كان ينبغى أن يقال أنبتكم إنباتا إلا أنه لم يقل ذلك بل قال أنبتكم نباتا، والتقدير أنبتكم فنبتم نباتا. وفيه دقيقة لطيفة وهى أنه لو قال أنبتكم إنباتا كان المعنى أنبتكم إنباتاً غريبا، ولما قال أنبتكم نباتا كان المعنى أنبتكم فنبتم نباتا عجيبا. وهذا الثانى أولى لأن الإنبات صفة لله تعالى وصفة غير الله محسوسة لنا، فلا نعرف أن ذلك الإنبات إنبات عجيب كامل إلا بواسطة

إخبار الله تعالى.. وأما لما قال "أنبتكم من الأرض نباتا" على معنى أنبتكم فنبتم نباتا عجيبا كاملا كان ذلك وصفا للنبات بكونه عجيبا كاملا، وكون النبات كذلك أمر مشاهد محسوس فيمكن الاستدلال به على كمال قدرة الله تعالى، فكان هذا موافقا لهذا المقام. فظهر أن العدول من تلك الحقيقة إلى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف[١٨٣] فالإنبات إنما ينظر فيه إلى صنع الله عز وجل وهو خفي، فعدلت الآية عنه إلى ما هو ظاهر وهو النبات حيث تتجلى فيه مظاهر الإبداع والقدرة، فكان ذلك أقوى مناسبة لمقام بيان قدرة الله تعالى ولطف صنعه، والامتنان على عباده بنعمه، وسياق الآيات يساعد ذلك المعنى أتم المساعدة.

والشاهد هنا أن هذا المعنى البديع لم يتوصل إليه إلا بطريق التضمين فاجتمع معنى المصدرين :(الإنبات) الذي هو صنع الله تعالى وصفته الخفية و (النبات) الذي هو أثر صفته سبحانه ، ومظهر قدرته .

خاتمة البحث وأهم نتائجه:

- حدد البحث موضوع الدراسة في الجانب الدلالي للتضمين من خلال رؤية أسلوبية بلاغية ليركز البحث على التغير الدلالي الذي يحدثه التضمين في الكلمة دون التركيز على الظواهر النحوية ذات الصلة ، اللهم إلا فيما يقتضيه البحث الدلالي برؤيته الأسلوبية البلاغية .
- بين البحث أهمية ظاهرة التضمين الدلالي موضوع البحث ، وكيف أنها واحدة من تلك الظواهر التي تتعاورها مجالات لغوية عديدة تنظر إليها من جهات مختلفة نحوية ودلالية وأسلوبية وبلاغية ، وإن كان الحظّ الأوفى في دراسة هذه الظاهرة إنما هو بلا شك للدراسة النحوية .
- ومن ثم بين البحث أحقية المجالات الأخرى الدلالية والأسلوبية والبلاغية بهذه الدراسة كذلك ، ولعلّ هذا هو ما حرص البحث على إبرازه والنص عليه في عنوان البحث لتحديد مجال الدراسة ودائرتها ، وهو ما ظهر كذلك في دراسته النظرية والتطبيقية .
- تأتي قيمة البعد الأسلوبي في البحث من خلال السؤال الدائم عن سر العدول عن الفعل ــ وكذلك الاسم ــ الذي يقتضيه الحرف المذكور إلى الفعل المضمن معنى الفعل الذي اقتضاه ذلك الحرف.

- ومن ثم نبهت الدراسة إلى ما وقع فيه كثير من الباحثين قديما وحديثا من تصور استعمال الفعل أو الاسم المضمن بمعنى ما ضمن فيه ، والصواب هو اتساع دلالة الكلمة المضمنة لتشمل دلالة التضمين بالإضافة إلى الفعل الأصلي .
- لما كان مصطلح التضمين من المصطلحات التي تنازعتها علوم وفنون شتى بدلالات اصطلاحية متباينة أو متفاوتة لذا فقد اهتم البحث بالتفريق بين إطلاقات هذا المصطلح في كل فن من تلك الفنون التي تنازعته منلها على ما وقع فيه بعض الباحثين من خلط بين إطلاقات هذا المصطلح في العلوم والفنون المختلفة .
- عرض البحث كذلك لاختلاف الباحثين حول ظاهرة التضمين بين الحقيقة والمجاز ، ورجح كونه نوعا من المجاز الخاص .
- كما ناقش البحث كذلك العلاقة بين التضمين النحوي والبياني ، وحدد دائرة البحث في كلٍّ منهما .
- لما كان التناول للبحث من خلال الرؤية الأسلوبية ؛ لذا اهتم البحث بالوقوف لبيان حقيقة الأسلوبية والتوظيف الأسلوبي للكلمة ، مبينا أهمية تناول ظاهرة التضمين باعتبارها عدولا أسلوبيا.
- حدد الباحث إشكالية البحث التي تتمثل في استعمال بعض الأفعال أو الأسماء مع غير الشائع استخدامه معها من حروف الجر ، مما يسبب إشكالا لدي الباحثين.
- ومن ثم رصد البحث مذاهب الباحثين في تصوير هذا الإشكال وحلّه ، فبين مذهب الكوفيين في القول بالنيابة في الحروف ، ومذهب البصريين وما ذهبوا إليه من التضمين في الأفعال والأسماء ، كما عرض البحث لما ذهب إليه بعض البيانيين من تقدير محذوف هروبا من القول بالنيابة أو التضمين .
- رصد البحث كذلك موقف كل من اللغويين والمفسرين وشراح الحديث ، وأورد العديد من الأمثلة والنماذج التي أوردوها لذلك سواء من القرآن الكريم أو الحديث النبوي أو الشواهد اللغوية الشعرية .
- وقف البحث كذلك وقفة متأنية للترجيح بين الآراء السابقة ، وانتهى إلى منع اطراد النيابة في الحروف ، وإن جوَّز إمكان استعمال بعضها مكان بعض في كلام العرب على سبيل التساهل ، ومنع تجويز وقوع مثل ذلك في الكتاب العزيز .

- كذلك فقد انتصر البحث لمذهب التضمين في الأفعال والأسماء بشرط وضوابط نص عليها الباحث .
- كذلك فقد رفض الباحث القول بتقدير محذوف في الكلام وبين أسباب تضعيف هذا القول ، وما فيه من التكلف .
- كما وقف الباحث كذلك عند مسألة : هل التضمين سماعيٌ أو قياسي ؟وذكر اختلاف العلماء في ذلك ورجح الباحث قياسية التضمين بالشروط التي نصَّ المجمع عليها .
- وقف البحث كذلك عند قيمة التضمين وأهم فوائده ، وهي تتلخص في:
- **التوسع في المعنى .**
- **الاختصار والإيجاز.**
- **التمكن في التفسير.**
- **فقه العربية ومعرفة أسرارها.**
- قدم الباحث للدراسة التطبيقية بعشرة من الضوابط التي يرى ضرورة الأخذ بها عند التطبيق لظاهرة التضمين على النصوص والشواهد التي وردت بها.
- أنهى الباحث القسم التطبيقي بدراسة تحليلة لعدد من النماذج لظاهرة التضمين من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والشواعد الشعرية مطبقا القواعد والضوابط التي قدم بها على هذه النماذج التطبيقية .

هوامش البحث:

---

(1) على مذهب القائلين بوقوع التضمين في الفعل دون الحرف

(2) وقع ذلك في كلام منشور لبعض الباحثين في دوريات غير مسئولة أو متخصصة فلذلك تركت الاستشهاد به أو الإشارة إلى صاحبه

(3) سنبين لاحقا علّة إيثار هذه التسمية على التسمية الشائعة في خاتمة البحث

(4) انظر اللسان والمحيط وتهذيب اللغة : ضمن

(5) العين واللسان : ضمن

(6) المحكم (ضمن) تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي ـــ ط دار الكتب العلمية ـــ بيروت (٢١٤/٨)

(7) كشاف اصطلاحات الفنون ٨٩٥/٢

(8) وهو من شواهد ظاهرة التضمين ، وإن لم يسمها ابن جني بذلك كما سيأتي بيانه - الخصائص - (ج ١ / ص ٢٢٦)

(9) مغني اللبيب ٦٨٥/٢

(10) أسرار العربية ٥٢/١

(11) شرح المفصل١٠٦/٤

(12) الكشاف ٢٦٧/٢

(13) المثل السائر ٢٠١/٣،ذكر ابن الأثير هذا النوع ضمن ما أورده من فنون البديع ، ولذا فقد سميناه بالبديعي ، وإن لم يسمه هو بذلك .

(14) رسالة في التضمين مخطوط ق ٢٢٣

(15) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: ٥٤

(16) شرح التصريح ٥/٢

(17) التضمين في العربية :٨

(18) السابق :١٣

(19) السابق :١٦

(20) دراسات في العربية وتاريخها :٢٠٧

(21) ينظر : مجلة مجمع اللغة العربية الملكي :١٨٢

(22) التضمين في العربية:٤١- ٤٢

(23) التضمين النحوي ـــ مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ـــ ع ٣٠

(24) انظر د/ عبد السلام المسدى - الأسلوبية والأسلوب - الدار العربية للكتاب - تونس ١٩٧٧ ص ٥٧.

[25] انظر/ برند شبلنر/ علم اللغة والدراسات الأدبية/ ترجمة د/ محمود جاد الرب ص ٨١.

[26] انظر د/ أحمد درويش - النص البلاغى فى التراث العربى والأدبى - ط مكتبة النصر - داخل جامعة القاهرة، مقال فى الأســـــــلوب - جورج بوفون ص ١٨٩-١٩٤، وأنظر مقالة بعنوان الأسلوب والأسلوبية، فى فصول ٨٤/١، ص ٦٠.

[27] عبد السلام المسدى - الأسلوبية والأسلوب - ص ٧٠-٧١- الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس ١٩٧٧.

[28] أحمد الشايب - الأسلوب ص ٣٦ - مكتبة النهضة المصرية - ٩ ش عدلى بالقاهرة ط٣.

[29] د/ صلاح فضل/ علم الأسلوب/ ١١٠/ مؤسسة مختار للنشر والتوزيع بالقاهرة، ونـــادى كـــذلك بتصـــور الأسلوب على أنه اختيار ماروزو، روسل، هل، ديفوتو، أنطوان، كريســـوت وغيرهـــم. انظـــر الأســـلوبية والأسلوب ص ٩٨، برند شبلنر/ علم اللغة والدراسات الأدبية دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصـــى، ترجمه وقدم له وعلق عليه د/ محمد جاد الرب/ كلية الآداب جامعة الملك سعود بالرياض ط١ س١٩٨٧ نشر الدار الفنية بالقاهرة ص ٨١.

[30] د/ حسن طلل أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية س ١٩٩٠ ص ٣٥، وانظر علم الأسلوب ص ١٠٣، وقد سبق أن نقلنا كلام دوسوسير فى التفرقة بين اللغة والكلام عند حديثنا عن دلالة الصيغة بين الإفراد والتركيب.

[31] انظر اللغة العربية معناها ومبناها ص٣٢-٣١٧، د/ كمال بشر دور الكلم فى اللغة ص ١٢، وانظـــر عـــالم المعرفة. أحمد الشايب - الأسلوب ص ٣٦ - مكتبة النهضة المصرية - ٩ ش عدلى بالقاهرة ط٣.

[32] دلائل الإعجاز/ بتحقيق محمود شاكر ص ٤٣.

[33] المجاز هنا هو مصطلح أبى عبيدة فى كتابه مجاز القرآن وهو أوسع من الدلالة التى استقر عليها مصطلح المجاز فى الدراسات البلاغية.

[34] انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ٩/١، البديع لابن المعتز ص ٥٩/٥٨، البرهان فى وجوه البيان لابن وهب الكاتب ص ١٥٣، الفروق لأبى هلال العسكرى ص ١٩٠، إعجاز القرآن للباقلانى ص ٢٧٣، ٢٧٤ المثل السائر لضياء الدين بن الأثير ١٦٧/٢، ١٦٩، ٢٤١، ٢٤٦ جوهر الكنز نجم الدين بن الأثير ص ١١٨-١١٩، الكشاف للزمخشرى ١٨٦/٢، ٢٠/٣، مفتاح العلوم للسكاكى ص ١٠٦ (المطبعة الأدبية)، الإيضاح للخطيب القزوينى ص ١٥٧ (بتعليق د/ محمد خفاجى)، الطراز ليحى العلوى ١٣١/٢-١٣٢ ١٣٥- ١٣٦ ١٣٧، التبيان للطيبى- -٣٤٧/٢ بتحقيق / عبد الحميد هنداوى ط المكتبة التجارية بمكة، شروح التلخيص ٤٦٣/١ ٤٦٧ الخصائص لابن جنى ١/ ٢١٤ - ٢١٥ ٤١١، ١٨٨/٣ ٢٦٧، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د/ أحمد مطلوب ص ٢٩٦.

[35] انظر المسدى - الأسلوبية ص ٩٤.

[36] سبق أن ذكرنا طائفة من هذه المصطلحات المعبر بها عن ظاهرة العدول كالانزياح والتجاوز والاختلال والإطالة والشناعة ... إلخ وذلك فى الفصل الخاص بالحديث عن دلالة الصيغة النمطية والفنية، وانظر الأسلوبية والأسلوب المسدى ص ٩٦،٩٧ وقد اخترت التعبير عن هذه الظاهرة بلفظ العدول لأمور: أولها: أن هذا التعبير هو اختيار أغلب البلاغيين القدماء كما سبق أن أوردنا. ثانيها: أنه أدق فى التعبير عن الظاهرة ووصفها. ثالثها: أن لفظة الانحراف تشمل إيحاءات إضافية قد لا تناسب الظاهرة ولعل أهم هذه الإيحاءات هو إيحاء الخطأ وهو غير وارد فى مصطلح العدول. وانظر د/ محمد عبد المطلب/ بناء الأسلوب فى شعر الحداثة التكوين البديعى ص ٣٢٤، وانظر له أيضا البلاغة والأسلوبية ط الهيئة ١٩٨٤ ص ١٩٨.

[37] انظر علم الأسلوب ص ١٩٣.

[38] راجع المبحث الخاص بالعدول في التراث البلاغي وانظر نظرية اللغة في النقد العربي ٢٤٩ ٢٥٠ وأسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية د/ حسن طبل ص ٤٦، ٥٢.

[39] أوردنا لذلك عددا من الأمثلة لوقوع التضمين في الحديث النبوي وتنبيه شراح الحديث على ذلك ، وذلك عند حديثنا عن موقف شراح الحديث من التضمين

[40] أوردنا لذلك عددا من الأمثلة لوقوع التضمين في الشعر العربي وذلك من خلال ما تضمنته أقوال اللغويين واستشهاداتهم على التضمين كابن جني وغيره

[41] بدائع الفوائد : ٩٢٠

[42] تأويل مشكل القرآن : ٥٦٧

[43] مغني اللبيب:١/١٤٨

[44] التضمين في الأفعال هو مذهب البصريين و يقابله عند الكوفيين تناوب الحروف ، أو التضمين فيها ،وقد ذهب إليه ابن عربي الإشبيلي والزمخشري وابن هشام وأبو البقاء الكفوي وكذلك الحافظ السيوطي فيما سيأتي ذكره عنهم وعن غيرهم ،وقد رجح شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة في أصول التفسير مذهب التضمين . ورجحه من المعاصرين كثير منهم الشيخ محمد الخضر حسين في دراسات في العربية وتاريخها ،وأحمد حسن حامد في كتابه (التضمين في العربية-بحث في البلاغة والنحو) وقد ذهب إلى أن التضمين هو إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه لمعناه، وهو نوع من المجاز ولا اختصاص للتضمين بالفعل بل يجري في الاسم أيضاً. وحول التضمين بأنواعه المختلفة يدور البحث في هذا الكتاب الذي جاء ثمرة دراسة متأنية لآراء القدماء والمحدثين في هذا الموضوع، ونظرة علمية لتلك الآراء، حيث تكونت لدى الباحث أربعة فصول بين مقدمة وخاتمة .

ذكر في مقدمة الكتاب حوافز البحث وخطته. ليتحدث في الفصل الأول عن التضمين في البلاغة والعروض، مفصلاً القول في التضمين البياني والبديعي والعروضي، واقفاً على مفهوم كل منها مبيناً علاقة التضمين البياني بأركان البلاغة الأخرى كالمجاز والكناية، والحقيقة، موضحاً علاقة التضمين البديعي بالاقتباس مظهراً من ثمّ آراء النقاد في قيمة هذا النوع من التضمين في علم البديع .عاقداً الفصل الثاني عن التضمين في النحو، مبيناً في البداية مفهوم التضمين في المعاجم اللغوية، ثم المفهوم الاصطلاحي للتضمين، ثم أثر نظرية الأصل والفرع فيه، وأخيراً أثر التضمين في قضايا النحو العربي ومسائله كالبناء والنيابة النحوية، وتعدي الفعل ولزومه، والمشتقات النحوية .ليتنقل في الفصل الثالث للحديث عن رسالة ابن كمال باشا في التضمين لأن صاحبها يكاد يكون من القلائل من العلماء ممن تحدثوا في هذا الموضوع في مبحث مستقل، ولأنه انفرد برأي خاص في التضمين البياني، وقد درس الباحث هذه الرسالة مبيناً أرضية صاحبها في البلاغة ثم منهجه في الرسالة وأخيراً محتوى الرسالة. منتهياً من ثم إلى نتائج واضحة دوّنها في نهاية الفصل .أما الفصل الأخير فقد خصصه الباحث لدراسة آراء المحدثين في التضمين مظهراً وجهات نظرهم حول كل من التضمين البياني والبديعي اللذين انصبت آراؤهم عليهما فقط. مسجلاً في الخاتمة أهم النتائج التي تم توصله إليها في هذا البحث. و د/ محمد ندىم فاضل في كتابه (التضمين النحوي في القرآن الكريم) وهذه الدراسة القيمة ذهب فيها الباحث إلى القول بالتضمين في الأفعال والأسماء أما التضمين في الحروف فقد رفضه الباحث واستقبحه

واستضعفه ،وقد جاء القسم التطبيقي محصوراً في القرآن الكريم وفق عنوان الرسالة وقد انتقد في أنه لم يعرج على أنواع السماع الفصيح الأخرى ، فيستقي لنا نماذج وافية من الحديث الشريف ،ونماذج من الشعر العربي وأقوال العرب وأمثالهم وخطبهم ومنثور الفصحاء والبلغاء وذلك ليدعم مذهبه الذي دافع عنه من ناحية ، والإثبات استعمال العربية لها من ناحية ثانية.

وأما عنوان الكتاب فقد انتقد من جهة أن قوله (التضمين النحوي) يشير إلى قضايا ومسائل تتصل بالنحو العربي من خلال أبوابه المعروفة ، ثم يتبين لنا أن القضية محصورة في تضمين الفعل معنى فعل آخر أو في تعدي الأفعال إلى حروف جر معينة ، فالموضوع الذي طرحه يتصل بدلالاتها ومعانيها وما تستحقه من حروف جر ، وما تحتمله من خلال السياق، ويبدو أن الباحث قد لحظ هذا في خاتمة بحثه ، واقترح أن يكون عنوان طبعة الكتاب الثانية : (ظاهرة التضمين في القرآن الكريم) ، وهذا العنوان في الحقيقة أنسب وأوعب بمضمون الكتاب ومناقشاته .كذلك فقد رجح مذهب التضمين حسن عزام في كتابه : غاية المأمول في الفعل الواصل وأسرار الموصول ،المطبوع بالإسكندرية سنة ١٣٥٤هـ

[45] د/ محمد نديم فاضل (التضمين النحوي في القرآن الكريم) طبع ونشر مكتبة دار الزمان- بالمدينة المنورة ٣٦٧/١ ، وسيأتي تعقيبنا على كلامه قريبا

[46] أحكام القرآن :١٧٧/١

[47] مغني اللبيب : ٧٦٢/٢

[48] معترك الأقران : ٣٩٨

[49] الخصائص - (ج ١ / ص ١٩٥)

[50] د/ هادي الشجيري – التضمين النحوي – مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية – دبي ص٣٠٨

[51] وكذلك استشهد د/ محمد ندم فاضل ببعض كلام ابن جني السابق على التضمين في الفعل في رسالته (التضمين النحوي في القرآن الكريم) طبع ونشر مكتبة دار الزمان- بالمدينة المنورة ٣٦٧/١

[52] مغني اللبيب : ٦٨٥/٢

[53] أبو البقاء الكفوي - الكليات: ٢٦٧

[54] الخصائص - السابق

[55] الكشاف :٢٥٧

[56] وإن كنا لا نسلم له فيما استشهد به من أن الرفث في معنى الإفضاء ،وإنما الصواب أنه قد ضمن معناه

[57] الخصائص - (ج ١ / ص ١٩٤)

[58] الكشاف :٢٥٧

[59] حروف الصفات : هي حرف الجر ، وسميت حروف الجر ، لأنها تجر ما بعدها ، وسميت حروف الصفات ، لأنها تحدث في الاسم صفة حادثة ، كقولك : "جلست في الدار" ، دلت على أن الدار وعاء للجلوس . وقيل : سميت بذلك ، لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات . ويسميها الكوفيون أيضًا : حروف الإضافة ، لأنها تضيف الاسم إلى الفعل ، أي توصله إليه وتربطه به . (همع الهوامع ٢ : ١٩) وتسمى أيضًا حروف المعاني ، والمعاقبة : أن يستعمل أحدهما مكان الآخر بمثل معناه .من تعليق الشيخ محمود شاكر على الطبري

[60] الشعر للعقيف العقيلي ، يمدح حكيم بن المسيب القشيري . نوادر أبي زيد : ١٧٦ ، خزانة الأدب ٤ : ٢٤٧ ، وغيرهما كثير

[61] تفسير الطبري - (ج ١ / ص ١٩٩)

[62] تفسير الطبري - (ج ١ / ص ١٩٩)

[63] مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٣ / ص ١٩٣)

[64] تفسير ابن كثير - (ج ٨ / ص ٢٢٠

[65] تفسير القرطبي - (ج ٦ / ص ٤٢٨)

[66] أحكام القرآن :١٧٧/١

[67] تفسير البيضاوي - (ج ٤ / ص ٣٩١)

[68] التضمين النحوي :١٦١

[69] المحرر الوجيز ٤٤٢/١

[70] المصدر السابق ١٢/٥

[71] وكان ذلك في معرض تعليقه على قول الفراء (انظر: معاني القرآن للفراء ١٧٣/٣): إن (الباء) بمعنى (في) في قوله تعالى: ("فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ . بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ" (القلم ٥-٦) بأنه "قول حسن قليل التكلف"السابق ٣٤٧/٥

[72] السابق ٣٢٧/٣

[73] السابق ٣٦٥/٥

[74] السابق :٧٩/٣

[75] تفسير الألوسي - (ج ٢ / ص ٣٣٥)

[76] تفسير الألوسي - (ج ٤ / ص ٤٨٨)

[77] تفسير الألوسي - (ج ١٠ / ص ٤٥)

[78] تفسير الألوسي - (ج ١٢ / ص ٢٨٩)

[79] فتح القدير - (ج ٥ / ص ٢٥٦)

[80] التحرير والتنوير - (ج ١٥ / ص ٣٠٥)

[81] السابق ٣١/٣

[82] السابق ١٥٥/١

[83] السابق ١٨٠/١

[84] السابق ١٥٨/١

[85] السابق ٥٢٢/٣

[86] السابق ١٩٣/٥

[87] السابق ٣٧٢/٥

[88] الأرهية ص٢٨٢

[89] أنبه هنا إلى أن التضمين في الحديث النبوي يحتاج إلى دراسة مستقلة ، وذلك لكثرة شواهده وتنوعها

[90] فتح الباري لابن حجر - (ج ٢ / ص ٣٠٤) وانظر:عون المعبود - (ج ١ / ص ٤٤٧)

[91] انظر شرح الطيبي على المشكاة بتحقيقي ح

[92] فيض الباري شرح البخاري - (ج ٦ / ص ٤٤٥)

[93] فتح الباري لابن حجر - (ج ١ / ص ٨٠) وانظر كلام الطيبي في شرح المشكاة بتحقيقي ط مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة

[94] القائل هو العيني

[95] عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (ج ٢ / ص ٢٧٩)

[96] انظر في تحقيق المعنى الشرعي للإيمان كتاب الإيمان لابن تيمية وراجع مجموع الفتاوى ١/١٨٠- ٢٤٩- ٢/١٠٤-١٠٥-١١٢-١١٣

[97] تفسير الألوسي - (ج ٥ / ص ٢٥٠)

[98] الجنى الداني في حروف المعاني - (ج ١ / ص ٥)

[99] الجنى الداني في حروف المعاني - (ج ١ / ص ٥)

[100] الخصائص - (ج ١ / ص ١٩٥) وهي من شواهد ظاهرة التضمين ، وإن لم يسمها ابن جني بذلك كما سبق بيانه

[101] قال المرادي في الجنى الداني في صدر كتابه في حدّ الحرف: " قد حد بحدود كثيرة. ومن أحسنها قول بعضهم: الحرف كلمة تدل على معنى، في غيرها، فقط."

[102] التضمين النحوي : ٦٠

[103] قد سبق ذكر كلامه فيه ،وانظر :الخصائص - (ج ١ / ص ١٩٤)

[104] التضمين النحوي : ٨٢

[105] معني اللبيب لابن هشام ص ٦٢١

[106] معني اللبيب لابن هشام ص ٦٢١

[107] أي نيابة الحروف

[108] الخصائص ــ السابق

[109] وكان ذلك في معرض تعليقه على قول الفراء (انظر: معاني القرآن للفراء ٣/١٧٣): إن (الباء) بمعنى (في) في قوله تعالى: ("فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ" القلم ٥-٦) بأنه "قول حسن قليل التكلف" السابق ٥/٣٤٧

[110] سبق بيان ذلك عند الحديث عن موقف المفسرين

[111] معني اللبيب عن كتب الأعاريب - (ج ١ / ص ١٢١)

[112] يرى علماء البيان " أن الفعل المذكور إنما يدل على معناه الوضعي ، ويدل على المعنى الآخر لفظ محذوف ، كالحال من الفعل المقدّر بمعونة قرينة لفظية ، فيجتمع في التضمين معنيان ، ولم يتصوّروا في إشراب الفعل معنى الفعل الملحوظ ، ليدل على المعنيين جميعا كما فعل النحاة ."التضمين النحوي ــ مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ــ ع ٣٠

[113] سبق ذلك في الحديث عن التضمين بين الحقيقة والمجاز.

[114] الأشباه والنظائر ١/١٣٦.

[115] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - (ج ١ / ص ١٥٧)

[116] تفسير الألوسي - (ج ١١ / ص ٢٣٤)

[117] الخصائص ٣١٥/٢

[118] مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة ١٨٠/١ ،وينظرمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٨١/١ ، وانظر النحو الوافي ٥٩٤/٢

[119] ينظرمجلة مجمع اللغة العربية الملكي ١٩٥/١

[120] انظر: دراسات في العربية وتاريخها :٢٠٥

[121] التضمين النحوي :١٠٦

[122] أبو البقاء الكفوي - الكليات: ٢٦٧

[123] مغني اللبيب : ٦٨٥/٢

[124] الكشاف :٢٥٧

[125] ينظر مغني اللبيب ٥٣٠/٢، وتفسير الألوسي (ج ٢ / ص ٣٣٥

[126] ينظر مغني اللبيب ٦٨٥/٢

[127] مختصر التحرير ص ٩٩

[128] الخصائص ٣١٠/٢

[129] تفسير الألوسي (ج٢١/ص ٢٥٦)

[130] تفسير القرطبي (ج ١٨ / ص ٢٧٩)هذا على أحد القولين في تفسير الآية ، والقول الثاني : فاسأل خبيرا بـه ، أي : خبيرا بالرحمن ، على التقديم والتأخير.

[131] الشعر للعقيف العقيلي ، يمدح حكيم بن المسيب القشيري . نوادر أبي زيد : ١٧٦ ، خزانة الأدب ٤ : ٢٤٧ ، وغيرهما كثير .

[132] تفسير الطبري - (ج ١ / ص ١٩٩)

[133] الجنى الداني في حروف المعاني - (ج ١ / ص ٥)

[134] وقد سبق ذكر ذلك عنه ، وانظر : الخصائص - (ج ١ / ص ١٩٥)

[135] الخصائص ٢/ ٣٠٨

[136] الخصائص ٢/ ٣٠٨

[137] تفسير الألوسي - (ج ٢١ / ص ٢٥٦)

[138] قال شيخ الإسلام ابن تيمية :"وَمِنْ الْأَقْوَالِ الْمَوْجُودَةِ عَنْهُمْ وَيَجْعَلُهَا بَعْضُ النَّاسِ اخْتِلَافًا أَنْ يُعَبِّرُوا عَنْ الْمَعَانِي بِأَلْفَاظٍ مُتَقَارِبَةٍ لَا مُتَرَادِفَةٍ فَإِنَّ التَّرَادُفَ فِي اللُّغَةِ قَلِيلٌ وَأَمَّا فِي أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ فَإِمَّا نَادِرٌ وَإِمَّا مَعْدُومٌ وَقَلَّ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ لَفْظٍ وَاحِدٍ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ يُؤَدِّي جَمِيعَ مَعْنَاهُ ؛ بَلْ يَكُونُ فِيهِ تَقْرِيبٌ لِمَعْنَاهُ وَهَذَا مِنْ أَسْبَابِ إعْجَازِ الْقُرْآنِ فَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ : { يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا } إنَّ الْمَوْرَ هُوَ الْحَرَكَةُ كَانَ تَقْرِيبًا إذْ الْمَوْرُ حَرَكَةٌ خَفِيفَةٌ سَرِيعَةٌ . وَكَذَلِكَ إذَا

قَالَ : " الْوَحْيُ " الْإِعْلَامُ أَوْ قِيلَ { أَوْحَيْنَا إلَيْكَ } أَنْزَلْنَا إلَيْك أَوْ قِيلَ : { وَقَضَيْنَا إلَى بَنِي إسْرَائِيلَ } أَيْ أَعْلَمْنَا وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فَهَذَا كُلُّهُ تَقْرِيبٌ لَا تَحْقِيقٌ فَإِنَّ الْوَحْيَ هُوَ إعْلَامٌ سَرِيعٌ خَفِيٌّ وَالْقَضَاءُ إلَيْهِمْ أَخَصُّ مِنْ الْإِعْلَامِ فَإِنَّ فِيهِ إنْزَالًا إلَيْهِمْ وَإِيحَاءً إلَيْهِمْ ." مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٣ / ص ١٩٣)

[139] في بعض النسخ (المضمر) وما أثبتناه أوفق للسياق ، وإن كان لفظ المضمر ليس بعيدا عن السياق كذلك

[140] تفسير ابن كثير - (ج ١ / ص ١٨٢)

[141] تفسير ابن كثير - ج ٨ / ص ٢٢٠

[142] تفسير القرطبي - (ج ١٨ / ص ٢٧٨)

[143] فتح القدير ج٧/٣٠٠

[144] التحرير والتنوير - (ج ١٥ / ص ٣٠٥)

[145] رسالة في التضمين مخطوط ق ٢٢٣

[146] تفسير الألوسي - (ج ٥ / ص ٢٥٠)

[147] تفسير الألوسي - (ج ٥ / ص ٢٥٠)

[148] تفسير الألوسي - (ج ٤ / ص ١٦٩)

[149] تفسير الألوسي - (ج ٩ / ص ٤١)

[150] فتح الباري لابن حجر - (ج ١ / ص ٨٠) وانظر كلام الطيبي في شرح المشكاة بتحقيقي ط مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة

[151] عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (ج ٢ / ص ٢٧٩)

[152] انظر في تحقيق المعنى الشرعي للإيمان كتاب الإيمان لابن تيمية وراجع مجموع الفتاوى ١/١٨٠- ٢٤٩- ٢/١٠٤-١٠٥-١١٢-١١٣

[153] ومن الأمثلة التي وقفنا عندها في ذلك :

قوله تعالى : " وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا " (الأنبياء :٧٧)

وقوله تعالى : " وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ "(طه:٧١)

وقوله تعالى :" أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ " (البقرة: ١٨٧)

وقوله تعالى :" فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ " (البقرة :٢٥٩)

وقوله تعالى :" هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى " (عبس :١٨)

وقوله تعالى:(سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) (المعارج :١)

وقوله تعالى:{ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ } (البقرة :١٤)

وقوله تعالى:"وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (البقرة:٧٦)

[154] فتح القدير - (ج ٥ / ص ٢٥٦)

[155] تفسير البيضاوي - (ج ٤ / ص ٣٩١)

[156] التحرير والتنوير - (ج ١٣ / ص ٤٨١)

[157] تفسير الطبري - ج ٧ / ص ٥٢٨

[158] تفسير الألوسي - (ج ٣ / ص ٤٠٨)

[159] التحرير والتنوير - (ج ٣ / ص ٤١٣)

[160] تفسير أبي السعود - (ج ٣ / ص ٤٧٣)

[161] تفسير الألوسي - (ج ٩ / ص ١٤٠)

[162] تفسير الألوسي - (ج ٦ / ص ٢٨٧)

[163] مغني اللبيب : ٧٦٢/٢.

[164] تفسير البحر المحيط - (ج ١٠ / ص ٤٥١)

[165] الجنى الداني في حروف المعاني - (ج ١ / ص ٨١)"

[166] وقد سبق نقل كلام الإمام الطبري حول هذه الآية وترجيحه لمذهب التضمين فيها عند الكلام على موقف المفسرين من التضمين

[167] تفسير ابن كثير - (ج ٢ / ص ٤٥

[168] تفسير الألوسي - (ج ٢٠ / ص ٤٩٢

[169] الجنى الداني في حروف المعاني - (ج ١ / ص ٦٥)

[170] مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٣ / ص ١٩٣)

[171] وقد سبق نقل كلام الألوسي وشيخ الإسلام في التضمين في هذه الآية ، وأنه ضمن الاسم (صيغة المبالغة) : (سماعون) ضمنها معنى (قابلون)

[172] انظر الكشاف ١٥٣/٤ / الألوسى ١٠٦/٢٩، والدر المصون ٤٠٥/٦، والجلالين ص٧٧٣ والقرطبي ٦٨٣٦/١٠.

[173] انظر الكشاف ١٥٣/٤.

[174] انظر الألوسى ١٠٦/٢٩.

[175] انظر ابن كثير ١٨٦/٣.

[176] انظر الألوسى ١٠٦/٢٩،٧٥.

[177] انظر شذا العرف ص ٤٥.

[178] انظر شذا العرف ص ٤٣.

[179] انظر شذا العرف ص ٤٥.

[180] انظر الرازى ٨٠٥/١٥، ٨٠٦.

[181] الألوسى ٢٩/ ٧٥- الدر المصون ٣٨٤/٦- الكشاف ١٢٤/٤.

[182] الكشاف/ السابق، المحرر ٣٧٥/٥، الألوسى السابق، الدر المصون السابق.

[183] الرازى ٧٤٣/١٥-٧٤٤.

المراجع

- الإتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي / تح محمد أبو الفضل إبراهيم /المكتبة العصرية بيروت ١٤٠٧هـ .
- الأجناس من كلام العرب، وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق د.عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، مصر.
- أحكام القرآن، للجصاص، دار الكتاب العربي، بيروت.
- أحكام القرآن، لابن العربي، دار المعرفة، بيروت.
- أحكام القرآن للكيا الهراسي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أدب الكاتب، لابن قتيبة، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٢م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأثير الدين أبي حيان /تح رجب عثمان محمد/ الخانجي / القاهرة ١٤١٨هـ .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود الحنفي / تح عبد القادر عطا / مكتبة الرياض لا ط .
- الأزهية في علم الحروف لعلي بن محمد الهروي / تح عبد المعين الملوحي/ مجمع اللغة بدمشق : ١٤٠١ هـ .
- أساس البلاغة للزمخشري / دار صادر-بيروت ١٣٩٩هـ.
- أسباب ورود الحديث الشريف، لابن حمزة الحسيني، المكتبة العلمية، بيروت.
- أسرار البلاغة/ عبدالقاهر الجرجاني-بتصحيح السيد رشيد رضا-ط مكتبة محمد علي صبيح.
- أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية د/ حسن طبل س ١٩٩٠
- الأسلوب - أحمد الشايب - مكتبة النهضة المصرية - ٩ ش عدلى بالقاهرة ط٣.
- الأسلوب والأسلوبية،مقال فى فصول١/٨٤.
- الأسلوبية والأسلوب - د/ عبد السلام المسدى - الدار العربية للكتاب - تونس ١٩٧٧.
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، للعز بن عبدالسلام، المكتبة العلمية، بيروت.
- الأشباه والنظائر للسيوطي / تح د. عبد العال سالم مكرم / مؤسسة الرسالة بيروت :١٤٠٦هـ
- الأصول في النحو لابن السراج / تح عبد الحسين الفتلي / مؤسسة الرسالة / بيروت : ١٤٠٥ هـ
- إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري / تح محمد عزوز/ عالم الكتب بيروت: ١٩٩٦م
- إعراب القرآن للنحاس / تح زهير غازي زاهد / عالم الكتب / بيروت: ١٤٠٥هـ.

- الأضداد، لابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت ١٩٦٠م.
- الاقتضاب، لابن السيد البطليوسي، تحقيق: مصطفى السقا والدكتور حامد عبدالمجيد، الهيئة العامة المصرية للكتاب
- الأمالي الشجرية لأبي السعادات بن الشجري / تح د محمود الطناحي/مكتبة الخانجي القاهرة: ١٤١٣ هـ.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية بمصر، ط٤، ١٩٦١م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام / تح محمد محيي الدين عبد الحميد / المكتبة العصرية بيروت ١٩٨١م.
- الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب / تح موسى العليلي / مطبعة العاني بغداد .
- الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، تحقيق د/عبدالحميد هنداوي مؤسسة المختار، مصر.
- الإيمان لابن تيمية / دار الفرقان / القاهرة .

- حرف الباء

- بغية الوعاة، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر ١٩٦٤م.
- البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق: الدكتور طه عبدالحميد طه، دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٩٦٩م.
- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر ط٤، ١٩٧٥م.
- حرف التاء
- البحر المحيط، لأبي حيان، دار الفكر، بيروت.
- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية / مكتبة ابن تيمية /بالقاهرة .
- البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ. تحقيق: د.أحمد أحمد بدوي. ود.حامد عبدالمجيد/ مطبعة البابي الحلبي-القاهرة: ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
- برند شبلنر/ علم اللغة والدراسات الأدبية دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصى، ترجمه وقدم له وعلق عليه د/ محمد جاد الرب/ كلية الآداب جامعة الملك سعود بالرياض ط١ س١٩٨٧ نشر الدار الفنية بالقاهرة ص ٨١.
- البرهان في علوم القرآن للزركشي / تح محمد أبو الفضل إبراهيم / دار المعرفة بيروت .
- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن. لكمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم الزملكاني. تحقيق: د.أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي مطبعة العاني-بغداد.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي / تح د. أحمد الخـراط / دار القلـم دمشق: ١٤٠٦هـ .
- دلائل الإعجاز، للجرجاني، تحقيق العلامة الشيخ محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٤م.
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس. شرح وتعليق: د/محمد حسين/المطبعة النموذجية.
- ٤٣
- ديوان علقمة الفحل. شرح: الأعلم الشنتمري. تحقيق: لطفي الصقال/ مطبعة الأصيل حلب /١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- دور الكلم فى اللغة / د/ كمال بشر / ط دار المعارف .
- رصف المباني في شرح حروف المعاني لآحمد بن عبد النور المالقي / تح أحمد الخـراط / دار القلم بيروت : ١٤٠٥هـ .
- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي / المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة: ١٤٠٧ هـ .
- زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم - د/ هيفاء عثمان عباس فدا- ١٤١٤هـ.
- السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق: الدكتور شوقي ضـيف، دار المعـارف المصـرية ١٩٧٢م.
- سرّ صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جنّي، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.
- شذا العرف في فن الصرف للشيخ الحملاوي، شرحه والمعتني به د/عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح ابن عقيل / تح حقيق محمد محيي الدين عبد الحميـد / الطبعـة الخامسـة عشـرة ١٣٨٦هـ .
- شرح أبيات سيبويه، للأعلم، (المسمى تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب) بهامش الكتب (ط.بولاق) ١٣١٦هـ.
- شرح أبيات سيبويه، لأبي محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي، تحقيق: الدكتور محمد علـي سلطاني، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٦م.
- شرح أبيات مغني اللبيب، لعبدالقادر البغدادي، تحقيق: عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، منشورات دار المأمون للتراث بدمشق، ١٩٧٣م.
- شرح اختيارات المفضّل، الخطيب التبريزي (يحيى بن عليّ)، تحقيق: فخر الدين قبـاوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

- شرح الأنموذج في النحو / للأربلي / تح د شاذلي فرهود /دار العلوم بالرياض ١٤١١هـ
- شرح التسهيل لابن مالك / تح د٠عبد الرحمن السيد ، و د ٠ محمد بدوي مختون / هجر بالقاهرة ١٤١٠هـ ٠
- شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبدالله الأزهري، وبهامشه حاشية يس بن زين الدين، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، القاهرة.
- شرح جمل الزجاجي لابن عصفور / تح د٠ صاحب أبو جناح / وزارة الأوقاف العراقية ١٩٨٠م ٠
- شرح شذور الذهب لابن هشام / تح محمد محيي الدين عبد الحميد / توزيع دار الأنصار القاهرة ١٣٩٨ ٠
- شرح شواهد المغني للسيوطي/ دار مكتبة الحياة بيروت ١٣٨٦هـ٠
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح تحقيق: د/عبدالحميد هنداوي ١٣ مجلد مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة.
- شرح قطر الندى لابن هشام / تح محمد محيي الدين عبد الحميد / المكتبة العصرية ١٤١٤هـ
- شرح الكافية لرضي الدين الأستراباذي / تح د يوسف حسن عمر منشورات جامعة قار يونس ليبيا ١٣٩٨ ٠
- شرح الكافية الشافية لابن مالك / تح د٠ عبد المنعم هريدي / جامعة أم القري مكة المكرمة ١٤٠٢هـ ٠
- شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي الجزء الأول والثاني/تح د٠ رمضان عبد التواب/الهيئة المصرية العامة للكتاب ٦٨٩١/ ١٩٩٠م ٠
- شرح المفصل لابن يعيش / المطبعة المنيرية بالقاهرة ١٩٢٨م
- شروح التلخيص / تح د/ عبد الحميد هنداوي / المكتبة العصرية / بيروت ٢٠٠٣م ٠
- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك / تحقيق فؤاد عبد الباقي /دار الكتب العلمية بيروت
- الصاحبي لأحمد بن فارس / تح أحمد صقر/ عيسى البابي الحلبي ١٩٧٧م ٠
- الصحاح للجوهري / تح أحمد عبد الغفور عطار / نسخة مصورة عن الطبعة الأولى ٠
- صحيح البخاري ت د٠ مصطفى ديب البغا / دار ابن كثير الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ ٠
- صحيح مسلم / فؤاد عبد الباقي / المكتبة الإسلامية استانبول ٠
- الطراز ليحى العلوى / تح د/ عبد الحميد هنداوي / المكتبة العصرية / بيروت ٢٠٠٢م ٠
- علل النحو لأبي الحسن الوراق / تح د محمود الدرويش / مكتبة الرشد ١٤٢٠هـ

- علم الأسلوب/ د/ صلاح فضل/ مؤسسة مختار للنشر والتوزيع بالقاهرة
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني / مصطفى البابي الحلبي ط الأولى : ١٣٩٢ هـ
- العين للخليل بن أحمد / تحقيق وترتيب د/ عبد الحميد هنداوي / دار الكتب العلمية / بيروت ٢٠٠٠م .
- عون المعبود / شرح سنن أبي داود / دار الكتب العلمية / بيروت .
- غاية المأمول في الفعل الواصل وأسرار الموصول ، حسن عزام ،مطبوع بالإسكندرية سنة ١٣٥٤هـ
- فتح الباري لابن حجر العسقلاني / المكتبة السلفية الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ .
- فتح القدير، للشوكاني، ط٣، مصورة ١٩٧٣م.
- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري / تح حسام الدين القدسي / دار الكتب العلمية بيروت
- فتح القدير، للشوكاني، ط٣، مصورة ١٩٧٣م.
- فهارس لسان العرب، أشرف على برامجه أحمد أبو الهيجاء، صنفه وقدم له خليل أحمد عمايرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- الفهرست، النديم (محمد بن إسحاق)، تحقيق: رضا تجدد، دار المسيرة، ط٣، ١٩٨٨م.
- القاموس المحيط، للفيروزابادي، دار الفكر، طبع مؤسسة الرسالة.
- الكاشف عن حقائق السنن للطيبي شرح مشكاة المصابيح / تحقيق: د/عبدالحميد هنداوي /مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة.
- الكتاب لسيبوية / تح عبد السلام هارون / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة مطبعة وكالة المعارض ١٩٤٣م.
- كشاف اصطلاحات الفنون / للتهانوي
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / لجار الله الزمخشري/مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٣٩٢ هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / لحاجي خليفة / مكتبة المثنى بغداد .
- الكليات – أبو البقاء الكفوي – ط الحلبي .
- لسان العرب لابن منظور / دار الفكر بيروت ١٤١٠هـ .
- المثل السائر لابن الأثير/طبعتين/تحقيق: محي الدين، ود.بدويت طبانة. ود. أحمد الحوفي/دار الرفاعي-/١٤٠٣هـ-١٩٨٣م. وط دار نهضة مصر-الفجالة-القاهرة.
- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى / تح محمد فؤاد سزكين / مكتبة الخانجي ١٩٨٨م .
- مجيب الندى إلى شرح قطر الندى لأحمد الفاكهي / مصطفى الحلبي ١٣٩٠ هـ .

- مجلة جامعة أم القرى
- مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ــ التضمين النحوي ــ ع ٣٠
- مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة ١/١٨٠ ،وينظر
- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ١/٨١ ، وانظر
- مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ١/١٩٥
- مجموع فتاوى ابن تيمية / مكتبة الرحمة / الهرم .
- المحتسب لابن جني / تح علي النجدي ناصف وزملائه / لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة ١٣٨٦هـ .
- المحرر الوجيز لابن عطية / تح المجلس العلمي بفاس / وزارة الأوقاف المغربية ١٣٩٥هـ .
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده / تح د عبد الحميد هنداوي / دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ
- المخصص لابن سيده // تح د عبد الحميد هنداوي / دار الكتب العلمية / بيروت ٢٠٠٥م.
- المزهر للسيوطي / تح محمد أحمد جاد المولى وزملائه / دار التراث بالقاهرة الطبعة الثالثة .
- المستقصى في أمثال العرب للزمخشري / دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٧هـ .
- مصابيح المغاني في حروف المعاني للموزعي/ تح د عايض العمري /دار المنار ١٤١٤هـ.
- المصباح المنير للفيومي / مكتبة لبنان ١٩٨٧ م .
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لعبدالرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد المكتبة التجارية بمصر ١٩٤٧م، طبعة مصورة عنها، عالم الكتب ببيروت.
- معاني الحروف للرماني / تح د. عبد الفتاح شلبي / دار الشروق جدة ١٤٠٤هـ .
- معاني القرآن، للأخفش سعيد بن مسعدة، تحقيق الدكتور فائز فارس، الكويت ١٩٧٩م.
- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: د.عبدالجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت.
- معاني القرآن، للفراء، تحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية ١٩٥٥م.
- مغني اللبيب لابن هشام ت مازن المبارك ورفاقه / دار الفكر ١٩٧٩م.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني / تح محمد سيد كيلاني/مصطفى الحلبي.
- المفصل للزمخشري / دار الجيل الطبعة الثانية .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب / ابن هشام / المكتبة العصرية / صيدا ١٩٨٧م
- مفتاح العلوم للسكاكي / تح د/عبد الحميد هنداوي/ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٢هـ
- المقتضب لأبي العباس المبرد / تح محمد عبد الخالق عضيمة / وزارة الأوقاف المصرية ١٣٩٩هـ

- النحو الوافي / عباس حسن/ ط دار المعارف .
- النص البلاغي في التراث العربي والأدبي د/ أحمد درويش - ط مكتبة النصر - داخل جامعة القاهرة، مقال في الأســـــــــلوب - جورج بوفون ص ١٨٩-١٩٤
- النوادر لأبي زيد الأنصاري/تح د. محمد عبد القادر أحمد/دار الشروق ١٤٠١هـــ.
- همع الهوامع للسيوطي / تح عبد العال سالم / دار البحوث العلمية ١٣٩٤هـــ .
- هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل البغدادي / مكتبة المثنى بغداد.

مطابع جامعة المنوفية